



جمعية تونس الفتاة

نقحات من تونس الفتاة السنة الثانية

مختارات ممّا نشر بالصحيفة الالكترونية "تونس الفتاة"
في سنتها الثانية

تنسيق:

حمزة عمر

نسخة الكترونية غير موافقة للمطبوع

النسخة الورقية من منشورات دار تواصل للنشر والتوزيع- 2013

في المقال

من يعدنا بالدماء والدموع والعرق ؟

حمزة عمر

منذ الأيام الأولى التي تلت 14 جانفي، صاحب طوفان الأحزاب المتكوّنة حديثا طوفان مماثل للوعد...وعود أصبحت بمثابة الخبز اليومي لما اقترب موعد الانتخابات: الخبزة بمائة مليم، نسب نموّ قياسية، تشغيل مئات الآلاف من العاطلين، المداواة المجانية للجميع...وبرز في خضمّ ذلك الشعار العجيب "توّه": كلّ شيء يجب أن يتحقّق الآن وفورا. والحقيقة أنّ "توّه" هذه لم تكن مجرد شعار لحملة انتخابية يقوم بها أحد الأحزاب، بل هي تكريس لثقافة متغلغلة في المجتمع انفجرت في ظلّ الأوضاع التي عرفتها البلاد في الفترة الأخيرة. لم يعد من المهمّ كثيرا أن تكذّ وتعمل وتكذح وتزرع حتّى تحصد، بل يكفي أن تصيح وتعتصم كي تجد مطالبك ملبّاة حالا .

والبحث عن الحلول السحرية التي تحقّق الأمان في ثوان، كمصباح علاء الدين، ليس بالشيء الجديد. وظاهرة "الحرقان" إلى الجنّة الموعودة للعودة بثروة خيالية في وقت قصير لم تكن خافية. ولعلّ نجاح الثورة في الإطاحة برأس النظام في أمد قصير، وبطريقة تكاد تكون عجائبية (فرار مفاجئ لم تفهم دواعيه الصحيحة إلى اليوم) زاد في تعميق مثل هذه الأفكار التي

سعت عدّة أطراف سياسيّة إلى توظيفها: البطالة حلّها في ليبيا التي أصبحت تحتاج بقدرة قادر إلى مئات الآلاف من العمّلة، الاستثمارات سيتكفّل بها أشقاءنا في الخليج وفي قطر خاصة، ثروات كانت مجهولة من النفط والغاز ترقد تحت تراب ولاية القيروان... وجاء أحدهم ليغازل بوقاحة فجّة أحلام الغرائز المكبوتة في الجميلات الحسان ممّن ملكت الأيمان. كلّ هذا والوضع الاقتصادي والاجتماعي على الهشاشة التي يعلمها الجميع وهو ما يذكرّ بعبارة هريبرت هوفر (رئيس الولايات المتّحدة بين 1929 و1933) الذي كان يردّد أنّ "الرخاء ينتظرنا عند المنعطف الأوّل للطريق" فكان أن غرقت بلاده، بعد أشهر معدودة من انتخابه، في أكبر أزمة اقتصادية في تاريخها وما لبثت أن امتدّت آثارها إلى العالم بأسره.

كان من المفروض أن يكون تخلّصنا من القيود التي كبلتنا طيلة عقود فرصة تاريخيّة لكي نرسم معا وطننا كما نحلم به، وطننا ناهضا متقدّما لا يجوع فيه أحد ولا يعرى. وكنا ننتظر أن يضع من انتخبناهم للتأسيس اللبنة الأولى لحلمنا، ولكنهم تاهوا وتوهّونا في نقاشات بيزنطيّة حول السلفيّة والعلمانيّة، والشريعة والدولة المدنيّة، والمصالحة والعدالة الانتقاليّة، والشرعيّة والمشروعيّة، والصفر فاصل والأغليّة...

وكلّهم يسترضي جمهور الناخبين ويدهانه ويتملّقه ترقّبا لموعد جديد يوصل/يبقي في كرسيّ الحكم السعيد. ولم يحفل أحدهم بأن يقدّم مشروعا جادا يلتفت حوله عموم التونسيين واثقين أنّ عليهم أن يقدّموا الجليل من

التضحيات وأن يسموا فوق نفوسهم كي يروه في يوم، ربّما قد يبعد كثيرا،
واقعا تطاله اليدان.

لسنا في حاجة إلى من يعدنا أن تمطر السماء ذهباً وفضّة، وأن يبيعنا سهل
الريح. كلّ دقيقة من الخمول في هذه اللحظة الفارقة من تاريخنا ستكون
نتيجتها سنين من المعاناة للأجيال القادمة. نحن في حاجة إلى من يعدنا،
كما فعل ونستون تشرشل في أول خطبه بعد توليه رئاسة الوزراء في
بريطانيا، بالدماء والدموع والعرق.

الإعلام سلطة رابعة ؟

معز جعفر

يوصف الإعلام عامة بكونه سلطة رابعة نظرا لأهمية عمله كوسيلة تقرب المحكوم بالحاكم وطرحه لقضايا الرأي العام بصورة تسهل وصول الفكرة لأصحاب القرارات. ولكي يحقق الإعلام اهدافه كسلطة رابعة لا بد من شفافية وحرية وحياد وموضوعية تساعد على تبلور دور الإعلام بأحسن وجه ووصول المعلومة للمتلقي بطريقة مجردة من كل عيب يحول الحقيقة إلى كذب والكذب إلى حقيقة. ووسائل الإعلام قد تكون عموميّة أو خاصة . وفي ظل غياب أي حماية فعلية للإعلام وغياب ضمانات في صورة المضايقة وإتباع أسلوب القوة تجاهه تكون وسائل الإعلام خاضعة لضغوطات ممن له صفة الحاكم القادر على توظيف الإعلام بشكل يخدم مصلحة حكومته، أو ممن له صفة المالك الخاص الذي لا نعرف اهدافه الحقيقية من وراء تكوين وسيلة إعلام وإن كان ظاهريا يتغنى بشعارات كخدمة الوطن وتقريب المعلومة إلى المتلقي... إلخ. فإذا كان الإعلام وسيلة ناجعة لتحقيق أهداف غير إيصال المعلومة الموضوعية للمتلقي فما المانع من ذلك خاصة وأن هذه الوسيلة تحت سيطرة أشخاص لها منفعة مادية من تحريف الوقائع ليصبح بذلك الإعلام خاصة الخاص منه شركات تجارية تحقق ارباحها من الإشهار، بيع حقوق البث... وتحريف

الحقائق. من ذلك مثلاً ما صرحت به المذبة السورية المستقيلة من قناة الجزيرة لونا الشبل " أن "الجزيرة تدبغ الخبر الذي يناسبها عن سوريا، وهذا نهج أئبع مع أغلب الدول أأى جرى فيها احتجاجات وانقسامات كالسودان وتونس ومصر وليبيا واليمن"، مضيةً: "هناك مؤامرة واضحة على سوريا والعالم العربي، من خلال الإشاعات والأخبار المدسوسة والملفة، أو الأخبار المعلنة وفق أهواء البعض، أو المخطط المرسوم للوسيلة الإعلامية" وأشارت الشبل إلى أن العديد من الصحف ووكالات الأنباء تتعامل مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) وبعض موظفي تلك الصحف والوكالات هم جواسيس يتخذون الصحافة غطاءً، كما يتخذون صفة المحللين السياسيين نقاباً يخفون من خلاله وجههم الحقيقي. وقالت الشبل إن قناة "الجزيرة" أأى دخلتها منذ سنوات هي غير قناة "الجزيرة" الموجودة حالياً، مشيرةً إلى أن ميثاق الشرف الموجود في القناة لا يعمل به حالياً .

فالإعلام ليكون سلطة رابعة يأت معنى الكلمة لا يحتاج إلى إمكانيات مادية ضخمة وديكور جميل بقدر ما يحتاج إلى ضمائر حية لها مبادئ تحترم الفكر المخالف ولا تجري وراء المال القدر، وهذا ما تفتقده دولنا العربية خاصة (هذا لا ينفي وجود هذه الظاهرة في الدول المتقدمة) التي مازال المواطن فيها يبيع صوته الإنتخابي مقابل لمجة أو يشكر باعث القناة ويعتبره هبة من الله لأسباب أجهلها شخصياً إلى حد الآن .

العولمة وفريضة الاجتهاد

سوسن فري

عرفت المجتمعات الحديثة ثورة معلوماتية أدت إلى إلغاء الحواجز والمسافات بين الشعوب والحضارات وحوّلت العالم إلى قرية كونية. فظهر معها مصطلح " العولمة" الذي أدى بدوره إلى طرح مجموعة من التساؤلات والإشكاليات، كمصير الهوية في ظل العولمة. فتأثيرات هذه الأخيرة على الهوية كبيرة وجسيمة وتؤدي في بعض الأحيان إلى التهديد بإلغائها. وهذا ما يحصل اليوم مع شعوب العالم الثالث المتخلفة ثقافيا وتكنولوجيا واقتصاديا وعسكريا مقارنة بدول العالم المتقدم التي تحمل في جعبتها من التطور والقوة ما يؤهلها لاحتواء وإلغاء بقية الحضارات حيث أدى هذا التباين الشديد إلى هيمنة الثقافة الغربية وإلى سيطرتها على الأفراد وممارسة نوع من الاستعمار غير المباشر. تعتبر المنطقة العربية الإسلامية من أكثر المناطق المهددة نظرا لعجزها عن استيعاب التطورات التي عرفتتها غيرها من الحضارات الإنسانية وانغلاقها وتقوقعها حول ذاتها مما أدى بدوره إلى عجزها عن اللحاق بركب التطورات وإلى تصدع هويتها وفقدانها لخصوصيتها ممّا أدى إلى طرح تساؤلات حول أسباب هذا التخلف وعدم القدرة على مواجهة تحديات العولمة خاصة فيما يتعلق بمسألة الهوية. فالمشكل الأساسي هو مشكل الفكر وخاصة الفكر الديني

السائد غير المعقلن والمسيطر إلى حد بعيد على الحياة العقلية والشعورية للعربي المسلم "إن كان ذلك بصورة صريحة وجليّة أو بصورة ضمنية واعية" كما يقول صادق جلال العظم. إذ أن تطوير هذا الفكر وملائمته مع طبيعة ومتطلبات العصر ضرورة قصوى حتى تتمكن هذه الحضارة من اقتلاع جميع الجوانب السلبية المعطلة والكابحة في إرثنا الاجتماعي والثقافي مع المحافظة طبعاً على خصوصية ومقومات هويتها. حتى لا يتوه أبناؤها في خضم هذا العالم المعولم ويجدوا أنفسهم مخيرين بين الوقوع فريسة للغزو الثقافي الذي يجدون في كنفه من العقلانية والتطور الفكري والوعي والمنطق ما يحملهم على التخلي عن أصالتهم وثقافتهم الأم فيفقدوا بذلك ركيزة أساسية من ركائز الشخصية السليمة المتوازنة ألا وهي الهوية. وبين الإصرار على الهروب إلى تراثهم والتشبث بتاريخهم ولكن بطريقة غير سليمة إذ يصرون على التفكير كما كان يفكر السلف بطريقة لا تتلاءم مع روح الإسلام السمحة فيتمسكون بظواهر الأمور والعوائد ولا يبحثون في المقاصد والدلالات ممّا يؤدي إلى انزوائهم وتطرفهم في أحيان كثيرة فيساهمون بذلك في التأخر بالحضارة العربية الإسلامية ويجعلون منها حضارة هشّة ضعيفة ومهتزة وفريسة سهلة للغزو الثقافي. فالتمسك بالمعاصرة على مستوى الحياة المادية والإصرار في نفس الوقت على التفكير كما كان يفكر السلف يمثل حالة من الانقسام المرضي كما يقول نصر حامد أبو زيد، متناسين بذلك مخالفتهم للإسلام الذي يحث على الاجتهاد ويجيز حتى الاجتهاد "الخطأ" بل ويكافئه "من اجتهد فأخطأ فله أجر". ذلك أن الخطأ هو السبيل لبلوغ الصواب في مجال التفكير الحر بلا

خوف ولا عوائق ممّا يساهم في مناقشة إشكاليات حياة المسلمين في عالم
تزول فيه الحواجز وتختفي المسافات وتزداد الأخطار. كي تتمكن هذه
الحضارة من الارتقاء بنفسها ومعالجة نقائصها بطريقة تسمح لها بتحقيق
الثورة التكنولوجية والفكرية والاقتصادية والمعلوماتية.... حتى تكسب
هويتها مناعة وقدرة على مواجهة تحديات العولمة.

حرية المعتقد في الإسلام

إكرام الدريدي

لئن أصبحت حرية المعتقد اليوم إحدى أهم الحقوق التي تضمنها المواثيق والقوانين الأوروبية والدولية فإن ذلك الحق قد ولد بعد مخاض عسير باعتبار تعرضه تاريخياً للنفي والإنتهاك باسم الكنيسة.

ولعل محاكم التفتيش التي أنشأتها الكنيسة في العصور الوسطى تقوم شاهداً على القمع الذي تعرضت له الشعوب الأوروبية باسم الكنيسة التي فرضت آرائها على الناس بدعوى حماية الدين المسيحي.

إذ أعدم حوالي ثلاثمائة ألف أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفاً أحياء لعل أشهرهم العالم والفيلسوف الإيطالي (جيوردانو برونو Giordano Bruno) الذي طور نظرية مركزية الشمس (l'héliocentrisme) وهي التي تضع الشمس في مركز الكون محاولاً إثبات أن العالم ليس له مركز بل هو لا متناهٍ لذلك يتحدث عن ما يعبر عنه بتعدد العوالم. حكمت عليه الكنيسة بأن يحرق حياً رداً على نظرياته العلمية.

كما عوقب العالم الشهير غاليليو Galileo بالإقامة الجبرية المؤبدّة لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس.

وبالرغم من أنها حقائق علمية، فقد اعتبرت كفرا نظرا لاختلافها مع ما كانت تروجه الكنيسة انذاك.

إلا أن البلدان الإسلامية لازالت تترجح تحت وطأة الطائفية والتعصب الديني علي الرغم من سماحة الدين الإسلامي الذي جاء ليعلن بكل صراحة ووضوح على مبدأ حرية المعتقد بما في ذلك حرية اختيار الديانة وحرية ممارستها دون إكراه ولا تضيق. فالعرب المسلمون الذين دأبوا على نمط الحياة القبلية بما فيها من حمية وعصبية وانفراد بالحكم لرئيس العشيرة ورفض للاختلاط مع الآخر لم يتخلوا عن هذه الطباع بل وألبسوها جبة الإسلام ونسبوا لها وهو براء منها فشرّعوا للتكفير والقمع وابتدعوا عقوبات لكل من خالفهم العقيدة أو المذهب أو حتى الرأي وحاربوا كل من حاول مجرد التفكير في تطوير هذا الفكر الجامد المتحجر بدعوى الردة أو الخروج عن الملة أو الزندقة.

مع هذا فإن النص القراني نفسه من الوضوح بمكان فيما يتعلق بالحرية الدينية.

بل أكثر من ذلك فإن الإسلام لم يكتف بإقرارها بل وقد وضع أيضا آداباً لنشر العقيدة والدعوة إلى الإسلام بما لا ينتهك هذا الحق كما أرجأ محاسبة الناس على مسألة الكفر والإيمان إلى يوم القيامة.

أ. في القرآن إقرار صريح بحرية العقيدة

لقد جاء الإسلام ليشكل قطعاً حقيقياً مع الإكراه وليقر صراحة حرية المعتقد واختيار الدين كما في قوله تعالى تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ / البقرة/ 256).

لذلك نلاحظ أن العديد من الآيات تنهى عن الجبر باتباع عقيدة الإسلام وتجعل مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم مهمة تبليغية توعوية تذكيرية لا جبرية في شكل التزام ببذل عناية وليس التزاماً بتحقيق نتيجة.

لذلك أمر الرسول في سورة الشعراء 214 / 216 ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِيءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وفي سورة البقرة 119 ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾.

أما في سورة الغاشية (21) يقول الله تعالى (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ) وهو نفي صريح للسيطرة في معنى الإكراه على أتباعه. كما يقول الدكتور محمد راتب النابلسي في كتابه التفسير المختصر وهو يشرح الآية 29 من سورة الإنسان " الله أعظم وأجلّ من أن يقول كلاماً لا معنى له. ولو أننا مجبرون ومسيرونا لما كان هناك معنى لقوله تعالى ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾".

ونذكر في نفس السياق الآيتين 11 و12 من سورة عبس. ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ .

هنا يتبين لنا الإقرار بالحق في الاختيار من جهة ونفي الجبر والإكراه من جهة أخرى. فلا أوضح من قوله تعالى في سورة يونس 99 (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ).

أو قوله تعالى في سورة الأنعام 106 : 107 ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

إذا كان حق الاختيار مضموناً والإكراه ممنوعاً فإن الإسلام قد أتى بمجموعة من الآداب التي ينبغي اتباعها في الدعوة للإيمان.

|| الإسلام يدعو إلى اللين والحسنى في مجاللة الناس والدعوة إلى الإيمان ||

على عكس ما كان سائداً في الحياة القبلية طوال عصور الجاهلية من تعصب وفرض لرأي شيخ القبيلة على باقي الناس تجريداً لإرادتهم ونفياً لحقهم في التفكير والاختيار الشخصي فإن الإسلام يدعو إلى الحوار ويرسي مبدأ سلميته كركيزة أساسية لنشر الدعوة الإسلامية.

ففي سورة النحل مثلاً يقول الله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ/ النحل 125). فالحكمة من العقل والتفكير والموعظة الحسنة تتأى بنا عن العنف والجبر والإكراه.

فإذا كان الرسول المكرم نفسه مطالباً بالتحلي بمثل هذه الآداب فالأولى لغيره من المسلمين بأن ينسجوا على هذا المنوال عملاً بقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ/فصلت/33-35).

فالقرآن يأمر بالصبر، وهو من جملة آداب الحوار التي ينبغي أن يتحلّى بها المؤمن في مواجهة التعنت والإصرار أثناء نشر الدعوة ، ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوبٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل/125).

وإن المتمتع في آيات الله سبحانه وتعالى لينبهر لمدى التسامح الذي يدعونا إليه القرآن في مثل هذه الحوارات التي قد تؤول الى الرفض او حتى الإهانة واللغو.

هاهنا يأمر الله الرسول في سورة المزمل 1﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ أو في سورة القصص/55﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنَعِي الْجَاهِلِينَ﴾.

فأقصى ما يمكن أن يردّ به المؤمن على اللغو (وهو استهزاء بالمقدسات وهو أمر جلل) هو الإعراض والهجر الجميل. والمقصود هنا بالجميل هو السلم والحسنى ونبذ العنف وترك الشتم والتسابيح وهو ما يدعّمه قوله

تعالى في سورة الأنعام 108(وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ).

كما تكتمل الصورة الجميلة لأداب الحوار في الإسلام بقيمة إنسانية كبيرة ألا وهي العفو أو الصفح. وبيان ذلك في قوله تعالى في سورة الأعراف/199 ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. أو في قوله تعالى في سورة الحجر/ 85 ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.

بالنهاية نستنتج أن الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، هو مجرد أمر قولي أو نهى قولي وليس لرده أو رفضه أن يرتب القمع والعنف أو الحرب لأن القتال لا يجوز إلا في حالة الدفاع ردا عن العدوان والقتال. لذلك نرى أن الإسلام يأمر بقتال المحاربين ردا للعدوان والاعتداء. من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة 194،190 ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

وفي موضع آخر يدعو الله إلى كف القتال بمجرد كف الاعتداء وذلك مثلا في سورة الأنفال (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ / 61).

وبالنهاية فإن العقاب الذي ينتظر المشرك هو من شأن خالقه وحده هو الذي يقرره يوم القيامة وهو وحده الذي يملك حق محاسبة عباده.

|||. الله يرجئ محاسبة الناس إلى يوم القيامة

عديدة هي الايات التي تنفي عن الرسول صفة المحاسب لترك هذه المهمة لله وحده يوم القيامة. من ذلك قوله تعالى في سورة سبأ (قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ/25-26).

أو قوله تعالى في سورة العاشية (مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ/21).

أو قوله تعالى في سورة الزمر (قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ / 46)

أو قوله تعالى في سورة الأنبياء (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ / 47)

أو قوله تعالى في سورة الحج (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ. الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ/55-56).

وكلها أمثلة لاحتكار الحساب من طرف الله وحده ففي تكرار ذلك في شتى الايات المذكورة تأكيد على هذا المبدأ. إذ ليس هناك في القرآن عقوبة للردة وترك الصلاة مثلا.

هذا الأمر من شأنه أن يترك المجال مفتوحاً للتوبة وقبول الإيمان أو الرجوع عن العمل السيئ.

وهو ما يدعمه قول الله تعالى في سورة التوبة (وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ / 102-103).

تكريس الحوكمة من خلال دسترة مبادئ الشفافية والمشاركة

عزة الشاوش بوراوي

منذ التسعينات انتشر الوعي بضرورة تعميم الحوكمة وربطها مباشرة بالديمقراطية. كان لا بد من خلق الية تمكن من تفعيل دور المواطن والحد من اقصائه من الحياة السياسية لتكريس الديمقراطية

الهدف من إرساء الحوكمة الديمقراطية أو التشاركية هو إرجاع الشرعية والمصداقية التي افتقدها المنتخبون بتفعيل المشاركة والحوار بين السلط والمواطنين. تقوم الحوكمة التشاركية على اشراك المواطنين في التخطيط الحكومي وفي عملية صنع القرار في حين يستجيب المنتخبون بكل شفافية عند المساءلة

مفهوم الحوكمة مازال في تطور مستمر ومن أحدث المصطلحات مفهوم الحوكمة المفتوحة والتي إلى جانب تشريك المواطن تعتمد أكثر على الشفافية وتضيف لها تطبيقات أوسع وأشمل من قبل بفضل التطور التكنولوجي في ميدان الاتصالات. تقوم الحوكمة الالكترونية المفتوحة على الشفافية في البيانات العامة حتى يتسنى لجميع المواطنين الاطلاع عليها والتفاعل معها

مهما كانت تسميات الحوكمة إلا أن هذه الأخيرة تقوم على مبدئين أساسيين متلازمين: مبدأ الشفافية ومبدأ المشاركة.

يعرّف المعهد الديمقراطي للشؤون الدولية بلبنان الشفافية كما يلي: “الشفافية هي عكس الخصوصية في الحياة السياسية والمدنية. ويتسم أي نشاط بالشفافية حين يتاح للجميع الاطلاع بحرية على كل المعلومات المتصلة به.” كما يشدد نفس التعريف على ضرورة تمكين المواطنين من الاطلاع على كل مراحل اتخاذ القرار من قبل السلط والمسؤولين الرسميين بهدف إصلاح الحكم”[1].

أمّا بالنسبة لمفهوم المشاركة، فيعرّفها نفس المعهد بأنها: “انخراط الأشخاص في الأنشطة التي تنظمها منظمات المجتمع المدني أو الأحزاب السياسية، أو في العملية السياسية، والمشاركة هي حق للمواطن ومسؤولية عليه في الأنظمة الديمقراطية.”[2]

لكي تتجسد الحوكمة في مبدأي المشاركة والشفافية يجب أن تتوفر الإرادة السياسية والاجتماعية وذلك بإدراج مبدأي الشفافية والمشاركة في الدستور خير ضمان لتكريس الحوكمة واستمراريتها. كما أنّ تكريس الحوكمة في الدستور هو الضامن الوحيد لإلزاميتها على السلطة السياسيّة. فالدستور كما يعرّفه الأستاذ رضا بن حمّاد هو: “ماديا المصدر الأساسي للقواعد القانونية المنظمة للسلطة السياسية في الدولة. وشكليا تمتاز هذه القواعد بالحصانة والعلوية على بقية القواعد القانونية العادية.”[3]

تكريس مبدأ الشفافية

تكريس مبدأ الشّافية بصفة شاملة ومثالية تكون عبر تكريس التوازن بين النظرة التقليدية والنظرة الحديثة للشّافية. فالمفهوم التقليدي للشّافية يوجب إقرار جملة من الواجبات التي تقع على مختلف الفاعلين في الحوكمة. والنظرة الحديثة هي التي تركز حق الولوج إلى المعلومة.

- واجب الشّافية المحمول على عاتق الجمعيات والأحزاب

تمّ تكريس هذا الواجب في القانون التونسي وذلك مؤخرًا في المرسومين عدد 87 وعدد 88 بتاريخ 24 سبتمبر 2011 إذ ينطبق هذا الواجب في النّظام الأساسي وفي تسيير ونشاط وتمويل الأحزاب والجمعيات.

و قد تقدّمت عديد مشاريع للدستور التونسي للقوائم المترشحة لانتخابات 23 أكتوبر 2011 أو غيرها. ويمكن إدراج واجب الشّافية في الفصول المتعلقة بحرية تأسيس الأحزاب والجمعيات.

- واجب الشّافية المحمول على عاتق الأشخاص في المناصب العليا الانتخابية وغير الانتخابية:

أشمل تنصيب فيما يخصّ هذا الإلتزام هو ما أتى به الفصل 5 من مشروع الدستور الذي أعدّه العميد الصّادق بلعيد حيث ينصّ ما يلي: " الشّافية هي واجب أساسي في جميع المناصب العمومية الانتخابية وغير الانتخابية، ويحدد قانون أساسي واجبات الشّافية وأساليب ادائها وعقوبات مخالفتها لكل فئة من فئات المناصب العمومية، وكذلك الضمانات الإجرائية التي سيقع العمل بها في هذا الاطار.

يمضي رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وأعضاء الحكومة وأعضاء مجلس النواب وكبار موظفي الدولة والموصفون المعيّنون بأمر رئاسي، عند أستلامهم مهامهم بيان شرف يفيد ثبات ممتلكاتهم، بكل مكوناته هم وأزواجهم وأولادهم. وعند أنتهاء مهامهم، يقوم خبير محلف بتحرير ضبط رسمي للممتلكات المذكورة ويرفعه فوراً إلى دائرة المحاسبات".

أما بالنسبة للمفهوم الحديث لمبدأ الشفافية فهو كرس حقاً لجميع المواطنين ومكونات المجتمع المدني لإضفاء أكثر عمق وواقعية للواجبات المنجزة عن المفهوم التقليدي لمبدأ الشفافية. ويتمثل هذا الحق في الولوج إلى المعلومة وبالتحديد إلى الوثائق الادارية.

- حق الولوج إلى المعلومة:

أهم ما يجب ذكره في خصوص حق الولوج إلى المعلومة أنه تم مؤخراً تكريس حق النفاذ إلى الوثائق الادارية في القانون التونسي بمقتضى المرسوم عدد 41 الصادر في 26 ماي 2011 يتعلق بالنفاذ إلى الوثائق الادارية للهيكل العمومية. ويتمثل في حق كل شخص طبيعي أو معنوي في النفاذ إلى الوثائق الادارية (التي تنشرها الهيكل العمومية او تتحصل عليها في إطار مباشرتها للمرفق العام وذلك مهما كان تاريخ هذه الوثائق وشكلها ووعاؤها)، الصادرة عن الهيكل العمومية أي مصالح الإدارة المركزية والجهوية للدولة والجماعات المحلية والمؤسسات والمنشآت العمومية بإفشافاتها بمبادرة من الهيكل العمومي أو عند الطلب من الشخص المعني مع مراعاة الاستثناءات المنصوص عليها بهذا المرسوم.

و لئن وضع المرسوم عدد 41 لسنة 2011 آليات لضمان احترام الإدارة والموظفين العموميين وتطبيقهم لمقتضيات حق النفاذ إلى الوثائق الإدارية إلا أنه لم يضع آلية لفتح البيانات التي تتمثل في وضع اطار قانوني لإعادة استعمال ونشر وتوزيع البيانات التي تم الحصول عليها.

تعتبر البيانات المفتوحة من المقومات الأساسية لحق الولوج إلى الوثائق الإدارية. وللحصول على صياغة شاملة ومثالية يمكن الجمع بين ما نصّ عليه الفصل 93 من مشروع قائمة دستورنا والفصل 28 من مشروع هيئة الخبراء برئاسة العميد عياض بن عاشور ويمكن أن يكون الفصل الذي يكرّس حق النفاذ إلى المعلومة كما يلي: "يتمتع كل مواطن ومواطنة بالحق في الوصول إلى المعلومات والمعطيات ونشرها ولا يحدّ القانون من هذا الحق إلاّ لحماية المعلومات السريّة المنضوية تحت سرّ الدفاع الوطني أو أمن الدولة أو حرّيّة الغير."

كما أنّه من الضروريّ إنشاء هيئة مستقلة تسهر على تطبيق واحترام الشفافية في مختلف مظاهرها.

مبدأ المشاركة

من مقومات المواطنة المشاركة في الحياة السياسية والعامّة للدولة. أي أن يكون طرفا فاعلا وليس مفعولا به. ولمبدأ المشاركة أيضا مفهوم تقليدي ومفهوم حديث، ولإضفاء أكثر فاعلية للتكريس الدستوري للحكومة لا بد من تكريس متوازن للمفهومين.

يكرس المفهوم التقليدي لمبدأ المشاركة بعدا محدودا يقتصر على المشاركة الجماعية لمكونات المجتمع المدني كالجمعيات والأحزاب السياسية.

- مشاركة الجمعيات والأحزاب السياسية

يكرس المفهوم التقليدي لمبدأ المشاركة بعدا محدودا يقتصر على المشاركة الجماعية لمكونات المجتمع المدني كالجمعيات والأحزاب السياسية . يمكن تعريف المجتمع المدني بأنه الاطار الذي يحتوي كل أنواع الأنشطة التطوعية التي تنظمها الجماعة حول مصالح وقيم وأهداف مشتركة تعود بالنفع على المجتمع.

بالنسبة للجمعيات، أولاها القانون التونسي أهمية كبرى لتأطير النشاط الاجتماعي إذ يمنحها المرسوم عدد 88 لسنة 2011 المؤرخ في 24 سبتمبر 2011 حقوقا واسعة في الفصل 5 : الحصول على المعلومات، تقييم دور مؤسسات الدولة وتقديم مقترحات لتحسين ادائها، إقامة الاجتماعات والتظاهرات والمؤتمرات وورشات العمل وجميع الأنشطة المدنية الأخرى.

و فيما يخص النشاط السياسي فالأحزاب السياسية هي التي يكلفها القانون بتأطير النشاط السياسي للمواطنين والمشاركة في الانتخابات.

و يمكن تخصيص فصل في الدستور ينص على حرية تأسيس الجمعيات والأحزاب السياسية وبيان حقوقها وواجباتها.

غير أنه لا يجب إقصاء المواطن المفرد من النشاط السياسي أو الاجتماعي.

- مشاركة المواطن بمفرده

اهتم مشروع الدستور الذي قدمه العميد الصادق بلعيد بتكريس مبدأ المشاركة بطريقة واضحة ومتكاملة وذلك عبر الفصل 3 الذي ينص على ما يلي : "تضمن الجمهورية التونسية حق كل مكونات المجتمع المدني، فردية كانت أو جماعية، في المساهمة في ممارسة الديمقراطية التشاركية على كافة المستويات، والمشاركة في حوار مفتوح، شفاف ومتواصل مع السلطات العمومية، والدفاع خصوصا عن الحقوق والمصالح المشروعة للأفراد والجماعات والجمعيات التي تكونها، أمام الجهات صاحبة القرار في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والمساهمة في تعزيز اواصر التضامن الاجتماعي بن كافة مكونات الشعب"

كما أن نفس المشروع يتجه نحو الحد من تهميش دور المواطن إذ ينص الفصل 4 على مفهوم المواطنة : " هي مجموع الحقوق والحريات المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يقرها الدستور لكل أفراد المجتمع الوطني إلى جانب الالتزامات والواجبات التي يلقيها على كاهل كل منهم. وهي أساس الديمقراطية وتعبئة المواطنين لإحياء الديمقراطية التشاركية على كافة المستويات وهي تلقي على كاهل المواطنين واجب المشاركة في الإقتراع والإستفتاءات في كل المستويات والمشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع المدني وتحمل

ما يقتضيه ذلك من مسؤوليات و اعباء عمومية. وهي أساس واجبات الإفتتاح على الطبقات المحرومة والمرضى والمعاقين والتضامن معهم".

لإدراج هذا النوع من التنصيص أهمية كبرى نظرا للظروف التي تمر بها البلاد التونسية فلا بد من التوضيح وتوعية المواطن وجعله طرفا فاعلا ويكون ذلك أكبر دليل على القطع مع عهد الدكتاتورية الذي همش دور المواطن.

[1] المعهد الديمقراطي الوطني للشؤون الدولية، *مصطلحات المشاركة المدنية : دليل المصطلحات والعبارات الشائعة*، 2009، ص. 55.

[2] نفسه، ص. 41.

[3] محمّد رضا بن حمّاد، *المبادئ الأساسية للقانون الدستوري والأنظمة السياسية*، مركز النشر الجامعي، تونس، 2006، ص ص. 168-169.

ميثولوجيا الروايات إزاء القرآن الكريم

خالد الدبابي

نتيجة لسيادة فكر أهل الحديث في الأمة الإسلامية التي امتزج فكر الإسلام الصافي لدى بعض طوائفها برواسب موروثاتها الثقافية القديمة، ونتيجة لتبني السلطة لفكر الإرجاء انتشرت في الأمة أفكار وخرافات أسطورية تتحدث عن أحداث ستقع قبل يوم القيامة، وأن تلك الأحداث هي من علامات الساعة، كنزول المسيح، وظهور الدجال والمهدي وغيرها، هذه الأفكار التي انتقلت إلينا من أصحاب الملل والنحل الوثنية أصابت كيان الأمة الإسلامية في مقتل، حيث قتلت فيها روح العمل والجهاد، فانقلب حال الأمة من العمل والجدّ والجهاد الإيجابي إلى حال الكسل والتواكل والإنظار السلبي، كل ذلك اعتماداً على الروايات الأسطورية التي تزعم سيادة الكفر على الإيمان وانتصار الشرّ على الخير إلى آخر الزمان حيث ينزل المسيح ويظهر المهدي ليقاتلوا الدجال زعيم الشرّ وابن الخطيئة.

هذا هو نفس الاستنتاج الذي توصل إليه المحدث عبد الفتاح أبو غُدّة في تقديمه لكتاب "التصريح بما تواتر في نزول المسيح" للمحمد الكشميري قائلاً هناك فكرة شائعة لدى عدد من عوام المسلمين، وهي أنهم يتخذون من إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه العلامات منكأً لهم في ترك العمل الجدي إلى إعادة الحياة الإسلامية الصحيحة، وقد ربطوا بعلامات الساعة

أمراً لا صلة له بها، وهو أن العمل الآن لا يجدي، لأنه لا بد أن يزداد الفساد، وينتشر الضلال، وتأتي الخوارق التي تتقدم الساعة، من ظهور المهدي ونزول عيسى (عليه السلام)، وحينئذ يعود الإسلام، وينتصر الدين، وينتشر الحق، ويقوى أهله، ويسود الحكم بالإسلام على وجهه، فلا جدوى الآن من مقاومة الباطل وأهله مهما حاول الإنسان المسلم”.

وهذه الخرافات الأسطورية التي تُعدّ في قاموس أهل الحديث من علامات الساعة التي يكفر منكرها، هي بلا ريب نقل نصي لخرافات وأساطير أهل الكتاب المدونة في كتبهم المقدسة “التوراة والإنجيل والتلمود[1]”، وسوف نبين بسرعة ودون التوغل في التفاصيل [2] بطلان هذه الروايات وتعارضها مع النصوص القطعية من كتاب الله سبحانه وتعالى، وتعارضها مع الحس والمنطق العقلي والحقائق العلمية، بالإضافة إلى توثيق مصادرها من الكتب الإسرائيلية المحرّفة!

من أمثلة تلك الروايات الأسطورية ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أنه قال في وصفه للدجال: “إنه شاب ققط عينه طافئة، كأنني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالاً، يا عباد الله فائتبتوا. قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا له قدره ... فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر

السماء فتمطر، والأرض فتنتبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت نرا وأسبغه ضروعا وأمدّه خواصر ... ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعو، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ... فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ... فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور، وبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النعف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة... فيرسل الله طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ... ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفنام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهاجرون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة [3]

وإذا حاولنا قراءة هذه الرواية وفق المنهج السليم سنجدها مخالفة للكثير من ضوابط المنهج الإسلامي الصحيح المستوحى من النصوص المحكمة:

1- مخالفتها لمنهج القرآن الكريم حيث تتحدّث عن يوم القيامة وتصفه بدقة رقمية، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الفترة الزمنية التي ستكون فيها، بينما يخبرنا الله عز وجل في كتابه العزيز أن يوم القيامة سيأتي بغتة وأن النبي صلى الله عليه وسلم مثله مثل بقية البشر لا يعلم شيئاً عن الزمان الذي ستكون فيه، يقول تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَفْقَيْهَا إِلَّا هُوَ تَقُلَّتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَافِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} الأعراف: 187.

2- هذه الروايات تعطي أرقاماً محددة عن أوقات تلك الفتن وأزمانها، ومن أمثلة ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين سأل كم سيلبث الدجال في الأرض. قال: "أربعون يوماً [4]، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم". بينما نجد أن القرآن الكريم لا يتعامل بنفس تلك الصورة الرقمية مع الأحداث التي يتنبأ بها، فالله تعالى حين بشر بنصر الدين لم يذكر الفترة الزمنية التي سيتم خلالها هذا النصر {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} التوبة: 33، وحين ربطت البشارة القرآنية بالتحديد الزمني جاء النص القرآني مع دقة التعبير معبراً عن فترة زمنية مفتوحة، حيث يقول تعالى: {غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ

سَيَعْلَمُونَ* فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
الْمُؤْمِنُونَ {الرُّوم: 4-2}.

**3- هذه الروايات تتحدث عن انقلاب في القوانين والسنن الكونية قبل يوم
القيامة،** فالرواية السابقة مثلاً تتحدث عن تغير طول اليوم من أربع
وعشرون ساعة إلى أسبوع، وشهر، وسنة، وهذا الطول في مدة اليوم
يستلزم تباطؤاً في دوران الأرض حول محورها مما يؤدي بالضرورة إلى
تجمد الأرض، واختلال اتزانها، وانعدام الحياة فيها، ونفس الأمر يقال في
الروايات التي رواها أبو هريرة وتدعي طلوع الشمس من المغرب على
أنها علامة من علامات الساعة [5]، وذلك يعني دوران الأرض في اتجاه
معاكس لما هي عليه الآن، مما يستلزم تباطؤ حركتها، ثم توقفها، وبعد
ذلك بدء الحركة في الاتجاه المعاكس، وعملية التباطؤ وحدها كفيلة بإحداث
انهيار كامل في مظاهر الحياة على سطح الأرض، فكيف بالتوقف،
والحركة العكسية! والظاهر أن مختلقي مثل هذه الأساطير كانوا يجهلون
كروية الأرض، ويفترضون مفاجأة الشمس لهم بخروجها من المغرب، ولم
ينتفون أن الشمس قبل أن تظهر لهم من المغرب يستلزم توقفها عن
الإشراق على البشر في الجهة الأخرى من الكرة الأرضية!، هذا إذا
افترضنا صمود الغلاف الجوي الأرضي أمام هذا التغيير الفلكي الهائل.
وهذه التغييرات الكونية المزعومة مخالفة لقوله سبحانه و تعالى ﴿سِنَّةَ اللَّهِ
الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ {الفتح: 23}.

4- تلك الروايات محدودة الجغرافياً حيث تتحدث عن الأقاليم المرتبطة بتاريخ بني إسرائيل، فهي تتحدث عن دمشق، والعراق، وبيت المقدس، وطور سيناء، والقسطنطينية، وكان أحداث البشرية ستظل مرتبطة بالجغرافيا المشكلة للخلفية المعرفية لمحرفي التوراة والإنجيل.

5- تتحدث الروايات عن أسلحة بدائية(السيف، الرمح، الحربة ...)، وهي الأسلحة التي تشكلت الخلفية المعرفية العسكرية لعصر التدوين، وهذه الأسلحة تعتبر بدائية جداً أمام أبسط أسلحة هذا العصر، فكيف بالعصور القادمة! وهذا يتناقض مع الدقة الرقمية للزمان والمكان والشخصيات لأحداث تلك الروايات الأسطورية.

6- تتحدث الروايات عن فتح القسطنطينية في آخر الزمان حين يظهر الدجال، وينزل المسيح، وقد أفرد مسلم في صحيحه باباً أسماه "باب في فتح قسطنطينية، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم" جاء فيه من طريق أبي هريرة: "بلا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق، أو بدياق، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ... فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون ... فينزل عيسى بن مريم فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانداب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته [6]"

فتحت القسطنطينية عام 1453م على يد المسلمين، ولم يحدث شيء من تلك الأحداث الملحمية ومن هذا السيناريو الميثولوجي المتسارع إلى الآن!

7- تصف هذه الروايات موعد يوم القيامة وصفاً دقيقاً، وتعطي أرقاماً وتفصيلاً كثيرة حول تلك الفترة، ولا يحتاج المرء الذي يعيش تلك الأحداث إلى كثير جهد لمعرفة أنه في لحظات الدنيا الأخرى قبل قيام الساعة!، وهذا مخالف لعنصر المفاجأة الذي جعله الله تعالى في يوم القيامة، فَمَهْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً (محمد: 18)

[1] اشتق مفهوم المسيح الدجال أو المسيح المضاد (*L'Antichrist*) من التقاليد اليهودية، وبالأخص من "سفر دانيال" في الكتاب المقدس العبري، والذي كتب في عام 167 ق.م. "Antichrist" هي الترجمة الإنكليزية للكلمة اليونانية الأصلية *ἀντίχριστος*.

[2] أردنا أن يكرن هذا المقال عاما ممهدا لما سيأتي بعده من مقالات تتناول بدقة وبحث مستفيض كل موضوع على حدى: الدجال، دحض مقولة عودة عيسى عليه السلام، المهدي المنتظر، الخ.

[3] مسلم [7373] يكاد كل سطر في هذا الحديث يناقض القرآن الكريم في مواضع عدة سنأتيها بالتفصيل ان شاء الله في مناسبة أخرى.

[4] في حديث آخر في صحيح مسلم يمكث الدجال للعين 40 سنة، سنتعرض بدقة كما اشرنا الى تناقض الأحاديث وتعارضها وتشاكسها في مقال خاص بهاته المسألة: العين المعيبة للدجال اليمنى أم اليسرى، قصة ابن صياد الغلام اليهودي الذي كان النبي يتلصص عليه لأنه يظنه هو الدجال، الخ.

[5] البخاري [4635]، مسلم [396]

[6] مسلم [7278]

في سيكولوجيا الضحية والشخصية المهزومة

عصام الصغير

“أنت اثنان: واحد يتوهم أنه يعرف نفسه، وواحد يتوهم أن الناس يعرفونه”

جبران خليل جبران

يحكى أن الإمام مالك بن دينار صعد المنبر ذات جمعة يخطب في الناس ويعظهم وكان كلامه مؤثرا جدا حتى أن جميع الحاضرين إنخرطوا في بكاء مر من شدة التقوى والورع على ما يبدو. وبعد أن فرغ من الصلاة بهم إلتفت إلى المصلين حانقا، وكان قد تفتن لسرقة مصحفه، وصاح فيهم “وبحكم تبكون جميعا من شدة الإيمان، فمن سرق مصحفي؟؟”.

تحضرنى هذه القصة في كل مرة أتصفح فيها صفحات الفايبيوك التونسية والعربية عموما حيث يُظهر الجميع نبل الأخلاق وسمو الروح ورهافة الحس والعاطفة ويقدمون أنفسهم على أنهم ضحايا لطيبة قلوبهم و غدر الآخرين فلا يسعني إلا أن أسأل بسناجة “إن كان الجميع ضحايا فعلا،

فبالله عليكم من هم المذنبون. هل أن الضحايا في الفايبوك والمذنبين في تويتر مثلا !!!”.

على أني أعتقد أن هذه الإدعاءات ليست إلا إنتاج أصلي لثقافة عربية بامتياز وهي ثقافة الضحية أو البطولة السلبية. حيث يستمرى الفرد العربي لعب دور الضحية بل يتلذذ ويستمتع أيما إستمتاع بتجسيده فتجده يسعى لخلق عدو أو طرف يحمله المسؤولية أو لاصطناع عداوة غير موجودة أصلا في غالب الأحيان ولكنها ضرورية لاستكمال سيناريو المؤامرة التي سيكون ضحيتها.

ومنهجيا تعتبر هذه الثقافة من أخطر الثقافات السلوكية على الإطلاق لأنها ترفض الإعتراف بالمسؤولية الذاتية وبالتالي تنفي كل نقد ذاتي وكل تقييم موضوعي قد يؤدي إلى إصلاح الهفوات الذاتية وتجاوز الأخطاء. وفلسفيا يمكن أن نجد أساسا لها في الكلية الحديثة le cynisme moderne أو السارتيرية حيث يشكل الآخر كل ما هو شر مطلق وتحكر الأنا الفضيلة المطلقة.

ومن عوارض هذه الثقافة على المستوى الجماعي أن تجد الشعوب العربية مثلا تحمل مسؤولية تخلفها كاملة لحكامها الذين يتهربون بدورهم من الإعتراف ولو جزئيا بهذه المسؤولية ويلقون باللائمة على الإستعمار حينا وعلى إسرائيل والدول الغربية أحيانا وقد يذهب بعضهم إلى تحميل المسؤولية كليا للشعب الذي بادر بالشكوى.

أما على المستوى الفردي فإننا نجد الفرد العربي المنتحب الذي يمضي حياته يبكي الظروف وقسوتها ويندب حظه فتراه طالبا فاشلا يحمل الأستاذ والمنظومة التربوية كامل المسؤولية عن فشله وتراه يافعا فشل في الحب ويحمل الآخرين المسؤولية عن ذوقه الرديء وعن شخصيته المنفرة التي لا تستكين لها نفس ولا تأمنها سريرة. وتراه كهلا أضاع أبناءه فينحو باللائمة على المدرسة وعلى القنوات الفضائية التي ضيعتهم وأفسدت أخلاقهم والأمثلة كثيرة.

وتقافة الضحية بدورها هي سلبية سلوك مشين آخر ألا وهو الكذب على الآخرين وخاصة الكذب على الذات حيث يرسم الفرد العربي لنفسه صورة خيالية غير متلائمة بالمرّة مع سلوكه اليومي الذي قد يكون معاكسا تماما للصورة التي يروجها لنفسه. فنجد مثلا من يتحدث عن الحب والصدقة وهو مسكون بعقد نرجسية قذرة وبعنصرية إثنية أوجهوية لا تجلب له منطقيا إلا صداقة وحب من كانوا مثله أو أسوأ. ونجد من يتحدث عن الذوق السليم وعن الوفاء وهو لا يتكلم إلا وجرح الناس وسخر منهم. كما نجد من يحدثك عن أوروبا والتقدم والسلوك الحضاري وإذا ركب سيارته خالف كل قوانين السير ولا يدخل مكانا إلا وترك فيه شيئا من فضلاته.

وعلى النقيض من هذه الأوهام نجد ثقافة محاسبة الذات التي تسود الأقسام المتحضرة حيث يعترف كل فرد بمسؤوليته الكاملة عن إخفاقه ويسعى لإيجاد السبيل الكفيل بتجاوز ذلك الفشل بنفسه. وهي ثقافة محفزة

لأنها تدفع الفرد لفعل المستحيل وللمقاتلة لأخر رمق للنجاح لأنه في صورة
القتل سيجلد نفسه لا غير. أما ثقافة الضحية فهي صنو ونظير لثقافة
الهزيمة حيث يمكن أن ينسحب الفرد من نصف المعركة بل من ربيعها
وحتى قبل بدايتها لأنه سيجد ألف تبرير تافه لهزيمته أو لفشله دون أن
يشعر بوخز الضمير.

ولأن الأدب مرآة الشعوب وضميرها فقد قال إيليا أبو
ماضي مخاطبا الفرد العربي مستنكرا ومعاتباً:

” كم تشتكي وتقول إنك معدم

والأرض ملكك والسما والأنجم

هشت لك الدنيا فما لك واجم؟

وتبسمت فعلام لا تتبسم؟”

وفي الطرف المقابل هتف الشاعر النرويجي بجرنستجورن
بجرنسن حاثاً ومشجعاً:

” بجل ربيع الحياة القصير

الكامن في أصل كل شيء على الأرض

تنوق كل لحظة كتكريم للأبدي

الذي جبت به الإنسانية

في الدوامة اللامتناهية

وانتش

وان ضعيفا، ولا معنى لك

بأبدية هذا الدهر”

هذا لا يعني قطعا أنه لا يوجد أشخاص طبيون فعلا وضحايا حقيقيين في أوطاننا العربية. هم طبعا موجودين ومن الحيف القول بعكس ذلك ولكن المغالطة الكبرى تكمن في تزكية النفس وفي كبت الضمير الفردي الذي لا يمكن بدونه أن نفهم حقيقة أنفسنا وأن نتواصل كما يجب مع الآخر وأن نبني مجتمع يعلو فيه صوت الفرح والتفاؤل بدلا عن صوت الأنين والشكوى والنواح.

الأغلبية التعيسة

أمين الزقزوني

وأنت تنظر حولك في الكائنات البشرية المماثلة لك، ستجد أنه من الصعب تجاهل واقع أن قلة قليلة من الناس هي سعيدة ومحقة لذاتها وقائدة لحياة هادفة. أكثرهم يبدو عاجزاً على التغلب على مشاكله وظروف الحياة اليومية. الأغلبية التي استقرت في المتوسط بل ودونه، سلمت نفسها لـ"غير نسلها برك".

الاستسلام للمتوسط أصبح طريقة حياة. وبالنتيجة فإن أحاسيس عدم التلاؤم يجعلهم -بشكل إنساني بحت- يلومون المجتمع، الناس، الظروف المحيطة والملابسات على فشلهم وخيبات أملهم. فكرة أن الناس والأشياء تتحكم في حياتهم هي مغروسة بشكل كلي في تفكيرهم ولذلك فإنه من العادي أنهم لن يستجيبوا للحجج المنطقية التي تثبت خلاف ذلك.

رُز أي قاعة شاي أو مقهى وماذا ستسمع؟

إشاعات. تشكيات. تذمر. توجع. تأسى. غضب وخوف. سلبية.

رُز أي مطعم غداء في أي مؤسسة كبيرة وماذا ستسمع؟

إشاعات. تشكيات. تذمر. توجع. تأسى. غضب وخوف. سلبية.

أختلس السمع إلى أي اجتماع عائلي في توقيت العشاء وماذا ستسمع؟

إشاعات. تشكّيات. تدمّر. توجّع. تأسّي. غضب وخوف. سلبية.

أستطيع أن أواصل. المقصد هو أن الأغلبية الواسعة للبشرية هي معطّلة في هذا المستوى من الوعي. إنه مستوى الإعلام. إنه مستوى الفايديوك. إنه مستوى أغلب الحوارات. إنه مستوى أغلب الأغاني. إنه مستوى الطاقة المنخفضة. وهذا هو نفس المستوى الذي يحفظ الناس بالضبط حيثما هم.

درس، أخذ وقتا طويلا لتعلّمه، هو أن عكس الشجاعة ليس الجبن، بل المطابقة. لعلّك أنفقت سنوات قيّمة محاولا أن تتوافق مع الموكب، لتتعلّم فقط، ربّما متأخرا، أنك لن تتوافق معه أبدا.

مالذي يجعلنا نتّبع بعضنا البعض كالأغنام؟ السبب هو أننا نحاول أن نتطابق مع الأغلبية. لقد حان الوقت لأن نكسر هذه الذهنية "الغنمية" وأن نوقف معاقبة أنفسنا لمجرّد أننا مختلفون عن عائلتنا، أصدقائنا أو أي شخص في أيما مسألة. كثير من المعاناة يمكن أن تُمحي لو أننا نرفض أن نترك حياتنا تُشوّه بالتطابق.

التفكير في أن حياتنا موجّهة بأي شكل من شخص آخر، مجموعة، أو مجتمع، يفرض وضعنا من العبودية الذهنية التي تجعلنا سجناء بملئ إرادتنا.

أفكارنا هي التي تصير المخطط الذي يجذب من الذهن اللاواعي كل العناصر لتحقيق مفاهيمنا، سواء كانت إيجابية أم سلبية. ما لدينا في حياتنا الآن هو التجلّي الخارجي لما كان يدور في أذهاننا. نحن نجذب حرفيا كل شيء يأتي إلى حياتنا، جيّد أو سيء، سعيد أو تعيس، نجاح أو فشل. وهذا

يتضمّن كل أوجه تجربتنا بما في ذلك عملنا، علاقاتنا، صحّتنا أو أمورنا الشخصية. وهذا ينطبق على الوعي الجماعي أيضا.

فكّر في الأمر ! محيطك، بيئتك، عالمك- كلّها تشكّل خارجي لما تفكّر به داخليا. بأن تكتشف لماذا أنت في الحال التي أنت عليها، فإنك أيضا تجد المفتاح لأن تكون ما تريد أن تكون.

من خلال الإيحاء (أو ما يعرف بالتنويم المغناطيسي) فإنه لا حدود لما يمكن للشخص أن يفعله، لأن قوة الخيال هي غير محدودة. هناك فكرة دارجة هي أن الإيحاء هو نوع من السحر أو من التحكم الخارجي. في الحقيقة، فإنه لا أحد يمكن أن يُنوّم بدون طواعية من طرفه بما أن كل شخص يتعاون في عملية الإيحاء. الموحى هو فقط مرشد يساعده على الإسراع في الواقعة.

يستطيع شخص أن يعتقد أن شيئا ما هو حقيقي، (سواء كان حقيقيا أم لا)، ومن ثم فإنه سيتصرّف كما لو أنه كذلك. سيبحث فطريا عن كل الوقائع التي تدعم الاعتقاد مهما كان خاطئا. لن يستطيع أحد أن يقنعه بخلاف ذلك إلا إذا أصبح جاهزا من خلال الدرس أو التجربة الشخصية.

إلى هنا يمكن ملاحظة أنك أنت وأنا، أساسا، النتيجة لما قيل لنا ولما علّموه إيّانا، لما بيع لنا ولما اشتري منّا.

الشخص العادي لا يصل أبدا إلى أن يقارب الكامن اللامحدود فيه لأنه يعيش تحت افتراض خاطئ وهو أنه يعرف الحقيقة مسبقا. هو يعتقد فيما أخبره به والداه، فيما علّمه إياه معلّموه، فيما حدّثه عنه أصدقائه، فيما قرأه

وفيما شاهده في التلفاز، فيما قالت له جماعته الدينية، بدون أن يثبتة حقا لنفسه.

ملايين تلو الملايين من الناس اتبعت بشكل أعمى خطاب ما يسمى بالناس "المعروفين" بدون أن تتأكد إن كانت هذه المبادئ التي ينشرها هؤلاء "الخبراء" تنفذ لحقائق الحياة. وعلاوة على ذلك فإنهم يحدّون من أنفسهم بأن يتشبّثوا بهذه المفاهيم والقيم والاعتقادات حتى ولو كانوا قد تجاوزوها فعليا.

مهمّتك الأولى هي أن تستيقظ من الوضعية المنوّمة التي تحفظك بعيدا عن الشخص الذي تريد أن تكونه. اقرأ الجملة التالية:

الدرجة التي تتيقظ فيها ستكون في تناسب مباشر مع كمية الحقيقة التي يمكن أن تقبلها حول نفسك.

و الآن أعد قراءتها مرة أخرى ! هذا هو المفتاح الذي يقرّر إلى أي مدى ستكون قادرا على تغيير حياتك. بكلمات أخرى: اعرف الحقيقة وستجعلك الحقيقة حرا.

و ما هي الاعتقادات؟ هي المعلومات الواعية واللاواعية التي قبلناها كحقيقة. للأسف فإن اعتقاداتنا كثيرا ما تسجننا وتمنع عنا الوصول لما هو حقيقي. مصفاة من المفاهيم الخاطئة تحظر مرور الحقيقة فنرى فقط ما نظن أننا نريده، ونرفض أي شيء آخر.

للأسف، فإن كثيرا منا يصرف كثيرا من أيامه يتبع ويفعل ما توصل إلى الاعتقاد بأنه يحتاج إلى فعله، بدل أن يتبع ويفعل ما يثيره حقا وما يجلب له الفرحة التي يفتش عنها.

ما نفشل في فهمه هو أنه عندما يكون هناك مليارات من الأشخاص يفعلون أشياء لا يريدون فعلها حقا، فإنهم يخلقون نتائج لا يريدونها، وبذلك يخلقون إحساس الحزن والتعاسة. هذه التعاسة تخلق طاقة جماعية تتجه نحو البيئة وتتسبب في دمار للكوكب الأرضي أكثر من كل الأشياء الأخرى مجتمعة. إنها مثل التوتر والغضب الذي يتسبب في القرح. الغضب يخلق القرح، تماما كحزن الناس الذي يخلق نتائج سلبية في المحيط.

هناك عدد من الناس مهتمون بشأن البيئة في الأرض. هم يريدون إنقاذ الأنهار والمحيطات والغابات. قد يكون هذا منصوحا به، ولكن أستطيع أن أقول لك أن الطاقة المتأتية من الأغلبية التعيسة في هذه الأرض هي ما يسمم البيئة أكثر من كل الأشياء الأخرى مجتمعة.

سوف لن نحلّ مشاكلنا البيئية حتى نحلّ مشكلة الطاقة الحزينة. بدل أن نحاول تنظيف المحيط، نحتاج إلى تنظيف تفكير وحزن الناس الذي يتسبب في مشاكلنا البيئية.

بدل أن نحاول زرع شجرة "احتفالا" بعيد الأرض، فلنزرع في أنفسنا ما نريده نحن حقا احتفالا بأنفسنا.

والآن دع عنك هذا المقال، وأنصت إلى قلبك.

تريد الرياضة ... عذريتها

أمل المكي

اليوم عيد في المملكة العربية السعودية... لا يتعلّق الأمر كباقي الدول
باليوم العالمي لحرية الصحافة... هو عيد عنوانه مختلف.... عيد نسائي
بامتياز...

فرحة نساء المملكة بالعيد سبقتها رحلة معاناة مضنية في مواجهة خفافيش
الظلام من علماء دين مغالين يدّعون أنّهم يستقون فتاواهم مباشرة من
السماء... وكأن صفحة السماء لباس امبراطور لا يراه إلا أنكباء آل
سعود...

“ممارسة الفتيات للرياضة تفقدنّ عذريتهنّ” هكذا أفتى علماء الدين
السعوديون ليحرموا النساء السعوديات من الركض والسباحة وممارسة
الجمباز والتنس وكرة اليد والسلة وركوب الخيل شأن حرمانهم إياهنّ من
قيادة السيارة..(أعتقد أنّ قيادة السيارة تتسبّب أيضا في فقدان العذرية على
المدى البعيد)..

في الحقيقة، أشياء كثيرة تفقد الفتاة عذريتها وأولها بقاؤها عذراء لسنوات
طويلة أو حتى تموت... أو أكل الموز وكل الغلال التي لها شكل الهلال أو
العمود أو القضيب... ففي فتوى لعالم دين مسلم يعيش في دولة أروبية،

يُجرّم على المرأة ملامسة الخضروات والفواكه التي لها "شكل العضو الذكري للرجل مثل الموز والخيار" بدعوى أنها تثير النساء.. لم يكشف عن إسم هذا العالم الفاضل لكن فتواه تكفي للتعريف به.. فهو يرى أن في تحريم أكل هذه الخضار والغلل المثيرة على المرأة حماية لها من الوقوع في شرك التخيّلات الجنسية فيما هي تأكل موزا أو جزرا أو خيارا.. وقد دعا إلى وجوب إعداد شخص آخر لهذه الخضار والغلل "الإباحية" عبر تقطيعها لأجزاء صغيرة تبعدها عن شكلها الأصلي المثير للفتن... أستعيد هذه الفتوى فأبتسم في خبث وأنا أعترف ببني وبين نفسي بتفضيلي للموز دون سائر الفواكه...

تناقشت مرّة مع امرأة فرنسية حول حقوق النساء في السعودية وخاصة حقها في قيادة السيارة وكنت أشرح لها كيف أن الوضع هناك انتهاك صارخ لأبسط الحقوق الإنسانية واعتداء على كرامة جنس كرمه الدين الإسلامي فأذله شياطين آل سعود وعلمائهم الشوّاذ.. وكانت الفرنسية تردّ أنه لا يجب علينا إصدار "أحكام مسبقة على الآخرين" وأنّ "ما أراه أنا انتهاكا للحرية يعتبره السعوديون حفاظا على التقاليد" .. كانت لشدة انبهارها بما تراه من المجتمع العربي، الذي تزوّجت رجلا منه، لا زالت تمتلك تلك الفكرة المفضوحة الآن حول الرجل الشرقي الغيور على زوجه وأهل بيته والتقاليد العربية الوردية التي أحبّها الجميع في مسلسل "باب الحارة"... ولأنها لا تعرف من الإسلام الشيء الكثير فقد ظنّت أن ما يحصل في بلد "هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" تطبيق صحيح للشريعة الإسلامية وأنه "علينا (نحن التونسيين) أن نحترم ذلك ونكفّ عن

إصدار

أحكام

مسبقة”.

كنت أريد أن أسألها كيف كان شعورك لو أنك لم تقودي سيارة يوما.. أو إن كان عليك وأنت الطبيبة والمحامية والأستاذة الجامعية والصحفية أن تحصلي على بطاقة صفراء تحمل موافقة وليّ أمرك على سفرك للخارج ولم يكن وليّ أمرك في حالات عديدة سوى ابنتك ذي السنوات السبع والذي تشرفين أنت على رعايته وتكفليته ماديا ومعنويا... أو كيف كنت لت شعري لو أنك تضربين في الساحة العامّة وأمام الناس جميعا لأنك أقدمت على إبراز خصلة واحدة من شعرك أو أنك جرأت على ارتداء سروال دجينز في مكان عام؟؟

و كنت سأسألها أيضا عمّا تراه يكون شعورها لو أنه لم يسمح لها منذ سيلان ذلك الأحمر بين فخذها أن تلعب أمام منزلها رفقة أقرانها من الصبيان ولو أنها لم تعرف يوما متعة الركض في مسلك صحّي مرتدية لباسا رياضيا جميلا أو لذة تقاذف كرة تنس أو كرة يد، ولا فرحة منافسة فريق من الأولاد والبنات في مباراة كرة قدم؟؟ و أردت أن أسألها إن كانت تتصوّر حياتها كامرأة، لا فقط كأوروبية متحضّرة، دون تردّد على صالة للألعاب الرياضية أو مشاركة حبيب متعة متابعة مباراة كرة قدم في الملعب أو مرافقته للمشي البطيء في منتزه جميل برّواده من نساء ورجال... خشيتي على الفرنسية من أن تشعر للحظة بفقدان كلّ تلك المتع واللذات صرفتني عن كشف حقيقة حرمان تعيشه ملايين من النساء في دولة إسلامية لا لقلّة ذات يد يعانينه فلا يستطعن توفير تكاليف ممارسة الرياضة

كالرجال بل لوجود قانون جائر يدّعي واضعوه أنه "تعاليم ربّانية" ويعلم الجميع أنه لا يعدو أن يكون "تعاليم جنسيّة..". اليوم، سيصبح بإمكان المرأة السعودية أن تختبر كلّ تلك المتعة التي اختبرتها صديقتي الفرنسية طوال حياتها دون أن تفكّر لحظة في كونها تجسيدا لحقوق إنسانية وليس فقط تمارينا رياضية لشدّ جسم مترهّل أو الحفاظ على بشرة جميلة وصحيّة أو طقسا من طقوس تجزية الوقت... أسعد لما أعتبره "فتحا نسويًا" عظيما قد يهزأ به البعض وقد يتجاهله البعض الآخر والأکید أنّ كثيرين يستنكرونه.. أولئك الذين لا يعرفون من جسد المرأة سوى البكارة ويحرّمون على بقية أعضائها أن تمارس حقّها في الحركة والنشاط .. هم الذين يحرّمون أكل الموز لأنه يثير نساءهم اللواتي لا يبلغن النشوة معهم، ويحرّمون المشي في لباس رياضيّ لأنه يكسب نساءهم "فيتامين د" والفيتامينات رجز من عمل الشيطان، ويحرّمون الركض لأنه سيشدّ أجساد نساءهم التي يريدونها مكنتزة مترهّلة، ويحرّمون السباحة لأنها ستمنح النساء متعة لا يبلغنها فوق أسرّتهم، ويحرّمون ركوب الخيل لأنه أشبه بركوب رجل غريب على محارمهنّ.. فتأواهم جميعها لا تأتي من السماء كما يدّعون بل من أسفل بطونهم... فلتنهأ المرأة السعودية بما حقّفته بعد نضال عام بحاله لتفتكّ حقّها في اللعب كما يلعب الرجال .. أولئك الذين يتقاذفون كرة القدم منذ سنوات طفولتهم الأولى دون أن يفتي أحد بإمكانية فقدانهم لطهارتهم أثناء ذلك... ولست أعني طهارة الوضوء للصلاة...

أمّا هنّ، نساء السعودية المقموعات باسم العذرية، و بعد أن حرمن طويلا،

فسيعود بإمكانهنّ أن يرتدين ألبسة رياضية جميلة ويمارسن الرياضة في صالات عامّة لأنهن يردن الرياضة لأرواحهنّ قبل الجسد ويحترمن أعضاءهنّ جميعا لا البكارة منها فقط.. ولا أعتقد أنهنّ سيحتجن يوما إلى كشوف عذرية اثر حصة سباحة ... فشرف المرأة الرياضية ، و الله الحمد ،محفوظ.. طالما لم يكن للمسابح شكل الموز...

التلوث في قابس : مشكل بلا حل...

أنيس عكروتي

أصبح التلوث في مدينة قابس يمثل هاجسا متناميا يشغل بال الأهالي بعد أن اثر في الفلاحة والصيد البحري والسياحة والصحة منذ سنوات وسكان الولاية في معاناة متواصلة وخوف من المخاطر التي يمكن أن يسببها التلوث المتأاتي من المجمع الكيماوي. تفاقم الأمر في المدة الأخيرة دفع بعدد كبير من أهالي الحامة بولاية قابس بالتهديد بقطع الماء الذي يضخ المجمع الكيماوي بقابس والمقدر ب25 ألف متر مكعب يوميا بعد الزيادة في طول مداخن المجمع ومما جعل مدى نفثها للغازات السامة يصل إلى 35 كلم.

هو مشكل موجود منذ سنوات وغياب الحلول الجذرية للمعالجة ساهم في تدهور الوضع البيئي بالجهة ، فتغيير مكان المجمع أو غلقه ليس حلا فاعلا بل وسيزيد في تعقيد الوضع الإقتصادي المتدهور أصلا.. أثار التلوث بالجهة باتت جلية للعيان فأثرت على غابات النخيل ومست المائدة المائية وأصابت السكان بالاختناق... ومن خلال جولة ميدانية داخل واحات قريبة من المنطقة الصناعية، تتأكد الصورة القائمة لأثر التلوث عليها وقد أكد أصحاب الغابات على حجم الكارثة التي لحقت نخيلهم

وفلاحتهم عموماً بفعل تأثير «بخارة» الميناء على غابات النخيل والزراعات والبقول إذ أحرقت الانبعاثات الغازية المنتوجات الفلاحية من فلفل ورمان وتمر وهي أضرار جلية يمكن ملاحظتها بالعين المجردة وما خفي من آثارها كان أعظم...

كما امتد أثر التلوث إلى السياحة الداخلية والخارجية فتقلص عدد الليالي المقضاة بالنزل كثيراً وتراجع عدد السياح بعد أن أصبح بالإمكان مشاهدة طبقة صفراء اللون تعلو سماء المنطقة الصناعية وتمتد على مساحات واسعة من البحر ناتجة عن السموم التي تفرزها المصانع المنتشرة على الشريط الساحلي وللتمكن من السباحة في ظروف سليمة يؤكد خبراء بضرورة الابتعاد عن وسط المدينة مسافة لا تقل عن 11 كم ومن بين الشواهد التي بقيت دليلاً على ما جناه التلوث على السياحة أحد النزل الذي انشأ سنوات السبعينات في غنوش غير بعيد عن المركب الكيميائي وترك نهبا للإهمال بعد إن تم رفضه كمحطة لإقامة السياح.

يتحدث أهالي قابس وخاصة كهولها وشيوخها عما كانت تتمتع به الجهة من مناظر طبيعية خلابة تجمع بين الصحراء والواحة والبحر في مشهد بانورامي يشد إليه كل مار بهذه البلاد وقد ذكر ذلك في كثير من كتابات الرحالة والجغرافيين القدامى الذين مرّوا بالمنطقة باعتبارها معبراً يصل الغرب بالشرق فتحدث عن جمال هذه المنطقة كثيرون ومن بينهم ابن حوقل والمقدسي وابن بطوطة والتجاني وابن الفقيه وقدامة بن جعفر والاصطخري وغيرهم كثير بما جعلها حسب بعضهم جنة على وجه

الأرض يطيب فيها العيش ويقصدها الناس من كل مكان للراحة والاستجمام...

نقطة التحول في هذا المشهد الجمالي كما يذهب إلى ذلك الأهالي كان أواسط السبعينات عندما تم تركيز العديد من المعامل على طول الشريط الساحلي لخليج قابس ومن أبرزها المجمع الكيميائي بغنوش وقد لقيت عملية تصنيع الجهة في البداية ترحيبا واسعا بما أنها كانت سببا في تشغيل أبناء المنطقة فقضت على البطالة المنتشرة آنذاك ومع مرور الزمن بدأت تظهر مشاكل بيئية معقدة ناتجة خاصة عن إفرازات المصانع وبالخصوص مصنع معالجة الفسفاط الذي استمر على امتداد العقود الماضية في إلقاء كميات هائلة من الفوسفوجيبس في الخليج تصل يوميا الى حدود 15 ألف طن تسببت في تكون رقعة من الفوسفوجيبس تمتد على 60 كم مربع على شكل غلاف سميك أثر على شفافية مياه الخليج وتحركها فقتل الكائنات الحية البحرية نباتية كانت أو حيوانية وفي أفضل الحالات، تسبب في هجرة أنواع كثيرة من الأسماك كانت تأتيه لتتكاثر في شعبه المرجانية ونباتاته الكثيفة قبل أن "يتصحّر" البحر ويتقلص التنوع البيولوجي بشكل كبير فلم يبق الا عدد قليل من أنواع الاسماك القادرة على التكيف مع التلوث وأدى كل ذلك الى القضاء على الصيد الساحلي الذي تقطعت منه عديد العائلات متوسطة الدخل.

وحسب بعض الدراسات فقد كان عدد أنواع الأسماك يصل إلى حوالي 3400 نوعا باعتبار أنّ خليج قابس بيئة ملائمة للتكاثر أساسها انتشار

أنواع كثيرة من النباتات والإعشاب ومساهمة العيون الجارية في التخفيف من حدة ملوحة البحر.

أدى هذا التلوث إذن إلى اختلال التوازن البيئي وتمثل ذلك خاصة في انحسار أنواع معينة من أعشاب البحر وما صاحبه من نقص واختفاء حوالي ثلثي الحيوانات الكبيرة العائمة التي كانت تتواجد بكثرة في مياه خليج قابس

أما في الجانب الصحي وهو الأهم ففي سنة 1993 قامت لجنة جهوية للصحة والسلامة المهنية بالتعاون مع فرع قابس للاتحاد العام التونسي للشغل بإجراء تحاليل متنوعة (بولية ودموية) وصور بالأشعة لأكثر من 1200 شخص شملت مختلف مناطق قابس لمعرفة نسبة «الفليور» في الجسم فكانت النتائج مرعبة وتدعو إلى دق نواقيس الخطر باعتبار أنّ هذه المادة تسبب امراضا عديدة كضيق التنفس وهشاشة العظام والسرطان والامراض الجلدية بل أن تأثيرها يتعدى إلى الأجهزة الهضمية والتناسلية وقد اقر المعهد الوطني للصحة والسلامة المهنية بوجود هذه الأمراض المهنية الناتجة عن التلوث

أختم بالقول أنّ الوضع البيئي في الجهة مقلق للغاية والإشكالية الأساسية تكمن في عدم تطبيق القوانين والتشريعات الوطنية والدولية التي أمضت تونس عليها باعتبارها ضمانا للأجيال القادمة تمكنها من العيش في بيئة سليمة وأتساءل صراحة عن جدوى سن هذه القوانين المختلفة إذا لم تجد طريقها للتطبيق؟

الوداع.....يا قلب الأسد

وليد جعفر

الألم كبير....و الجرح عميق.....

امتدت يد الغدر لتختطفك عليها

تسكت صوت الحرية

تطفئ شمعة الأمل

تقمع جذوة الحقيقة

و تعدم حب البلاد

لأنك صاحب الحجة وزعيم البرهان.....لأنك

لأنك صوت الحق.....لأنك حليف الكادحين....لأنك

لأنك لا تجامل لا تهادن لا تساوم.....لأنك

لأنك ولأنك ولأنك ولأنك.....

لأنك اختزلت الصوت والصدى....

لأنك شعاع شمس ونور قمر وشهاب في الليل....

هكذا تحديث طيور الظلام.....

أرقت عيونهم بل قل مستنقعات الحقد والكراهية

طيور الظلام هذه..... لا تضحك، لا تغني.....

لا ترقص لا تحلم لا تحب..... تكره فقط.....

و أنت يا شكري تحب الحياة...تعشق الحياة

لذلك اغتالوك في الصباح..... لأنك... لأنك

لأنك تحب الصباح وقهوة الصباح.....

لأنك أفسدت تجارتهم وكشفت دناءتهم

لأنك كنت اليقظة والعين الساهرة

قضيت نحبك بيد آثمة و رصاص غادر

حنظلة الصغير يبكي...يبكي...يبكي

الدموع تتدافع من عينيه وهو يسأل

” أين شكري، هل التحق بناجي يا ترى؟“

في بيوت الله.....بالكفر رجموك

في بيوت الله...دمك أهدروه

ذبحوك ألف مرة قبل أن يغتالوك آخر مرة

سؤال: لماذا قدر الشجاع أن يغتال....؟

سؤال: لماذا قدر المسار أن ينتهي في منتصف الطريق....؟

سؤال : لماذا تضرب المأساة حيث تزهر ورود الأمل ؟

الجواب عن كل سؤال : قدرنا أن نكتب على ورق يحترق !

الوداع يا شكري الوداع يا قلب الأسد

في الشعر

ثنائية الوهج

إكرام بن حميدة

تكسّر الموج
ساعة نعاس الأحداق،
كنتُ أرى
في دمي اللّهات
وأسمع شهقة الشّوق،
نزوات الحنين المجنون،
أنسى التّريث
ألغي التقاط أنفاسي
أمارس فيه الغرق،
في كامل اختناقي،...
أبوح بكامل عذوبة خمر وحدتي،
كان
رجلا من جذوة ولهيب،
كان
يمحو مفاهيم زمن العصيان
لرجل الرماد والغبار
عندما لا يغريني بالبقاء
يبحث عن
امرأة من رغبة ونار،
ينظر إليّ بعمق،
مشمسا،
يُفكّك غيماتي
ويمنّي النفس
بكامل صحوته منّي،
فُبيل الرّحيل الأخير،
يلثم رقبة الكلمات الشّهية

ليلة زفاف عرائس الحلوى،
بمذاق السكر السحري،
يريدني أن أكون،
يهمس لي: "تريثي"،
التقطي أنفاسك
بين ضمة
وضمة
بين قبلة
وأخرى "..."
أبتسم
وتصعد غيمة الناي
عنان السماء
فيعترض سبيلي
مهلاً،
ما بين لثغة وأخرى،
معه جسدي ممشوق الرغبة
كلما استيق هو
تفاصيل مغامراتنا،
يرفض معي
أن يكون
رجل الممالك المهزومة
وقد تبخرت انتصاراته
أمام نزيف أحلامي
بلا نهاية...

كسر على صفحات الزجاج

أبو معاذ المطوي

لا يزهر الرماد
في ترقب الوعد المسافر
على جناح آخر شعاع يسبق الغروب
أجمع من مذهباتهم مطالع
وشاية بخيرة قديمة
عن الزمان إذ يخضر
عن "تهمد" ...
عن "حومل" ...
عن "لحوب" ...
وجرة النسيان تسكب
فتذرف بقاياها
عمودا من مصلى
وغيارا من طريق
وشتاتا خابيا يُحفظ من صليب
أوي إلى محطة مهجورة
منذ شتاءين وربما ثلاثة خلت
قطارها خطفه الشمال
أنجب فتاة (أم تراها أنجبته؟)
تتحلى بالجنون خاشعا
وبأناشيد تلاد
نفضتها، عندما استكانت، القلوب
أجلس ناظرا تجاه ساعة دون عقارب
وأسأل: متى الرحلة؟
لا مجيب

همهمة الفراغ تملو
وبهيم طلعتها تجاه ماء ليس يأسن
فيسرق التماعة شقافة من سطحه
يسرطن التعضنات في صفائه
يحرم نشيد أمه للانتزار بالأثير
تخرق الأعماق غابة الزجاج
حتى تهرق الصمت على المغيب
أوراقها البيضاء
من هواة جمع الذكريات
تطلق الصور من عقالها
بعد ختام غير معلن
لعيد أوجه ثانية
في الساحة الكبرى لـ"سبيلنا"، تجلي "إرم" الجديد،
في يوم بلا عيوب
يمرّ كنّاس
قسماته، اسوداد الثقب ساعة رحيل موهن،
تلتهم الشارد من سرب السماء
خدشة على ذرى الغيوب
يرمقني شعر غضوب
في اعتصام دائم أمام حب كهрман زائف
ومفردات أنهكت بحتها
منذ غزا مفرقها المشيب
تاج مخبأ على رفوف أسفار تناءى حبرها
يهوي مدويًا
سياطا فوق رأس سائل
تفرط عقد عزه المنهوب
تلطخ الألوان وجهها
لا يضمه إليه شجر أو حجر
يعبر صوت الضحكات
في اتجاه غصنه الرطيب
في غرفة مفتوحة على السراب

مغلق ستارها على الشمس
تخفى رعشة بين ضلوع بسمه حيرى
رداء فوق عري مثقل الندوب
طفل مكأل بغار الثلج
محمول على موج معصفر
شهيقه صباغ ناقع
زفيره نبوءة ضائعة
يمسك لوحه الأخير
نحو شاطئ يغيب عن أفقه
وسائل الرياح لا يخيب
تسع زجاجات خوى سكونها
وصفحات فوق يوم نازف خُماره
تحالف اللهب في حصاره العابث
حول سندية ندية فروعا
تحجب عيوننا بلغت شققها
عن نظرات الفلق المريب
تخنفني ثرثرة الزجاج
كيف أسمع القطار لو أتى؟
وكيف يهتدي بترتيل الغربية دمي؟
وأنا لا أعرف أيّ صورة أغرسها في كلماتي
في ارتجالي لخطى شاردة
في ضحكتي الثقيلة الجذباء
في رجع صدى القلب
صافرة منهكة المدى تننّ
والدعاء يقتفي الدخان
"لا تذر عليّ من مراقصات الضوء دياراً"
يتصدّع البياض
في ترنح السفينة التكلّى
يزمّل انكساره
بدرع الفارس السليب
وغابة البلور تهوي

وتنزف مع احتضارها حبرا
غزيرا مثل حقد فائر
إن حال ما بيني وبينى الموج
هل من جبل يعصمني؟
وهل يغيض الحبر أو تُقْلِع عين الأرض؟
هل أنّ القطار لم يُلق، إلى الآن، مراسي بُعدَه المحجوب؟
بين أصابع تذوب في الظلال
يختبي انعكاس مرآة شريفة
بلا رسوم ترتوي بوهمها
أراها تستوي كالجوديّ
لم ينج سواها من كبائر قبيلها
أصمّ الأذن عن ترتيلة الفتاة
عن معزوفة القادم من شماله
عن آخر الصيحات في استعجاله
والصفحة العذراء ترتدي لها وجهها
أليفا رغم أنّي ما رأيتَه
سوى شرخا على بؤابة زرقاء
يتلو آية ما كتبت بعد
عن الشمس إذ تشرق بعد ساعة الغروب

قهوتي الصباحية

إكرام بن حميدة

قهوتي معك
كنكهتك كلّ صباح
تسيل بمذاق السكر الذائب فيّ
تفوح منك رائحة الحياة
حلوة،
شهيّة،
عيقة،
اقتربنا أنا وهي
خطواتنا إليّ
توصلني إليك، ...
أمزج وحدتي بقهوتك
لأصنع نبضة، ...
كلّما ابتسمت لي
أنت وأول شروق الشمس
تزيد نكهة الحليب الملوّن بنا
لذة ارتشافها
فنمارس طيراننا عشقا
على أجنحة رائحة الفنجان
التي أعشق رسم خطوطها الصباحية
على طاولتي المخضّبة بجسد الحب،
تذكّرني كلماتك،
مع مراسم موكب النهار،
وقبلتك الصباحية الممتزجة بنكهة البنّ
أنّ نظراتنا وفناجيننا

ستشتدك
وأصابعنا على الأكواب
ستشتاق للعناق
ذات لقاء
تخبئ وردتي الحمراء
بين طيّات كتابك
وتهمس لي أن أغمض عينيّ
لنتوجني
ملكة الياسمين
وأنت تعصر يدي
وتراقب خصلات شعري
ذات شوق بحري
يطلّ في حذر مهزوم
من وراء ستائر الحرير
المسدلة على شرفة يوم...
من أيام العشق

.....٤

في حديقتنا الصغيرة
تبحث لي عن مفاجأة سارة
لتسقيني
صباحات الوجد
فتصير أهداب القهوة
أنجما
يطول بريقها لمعانا
كم نستزيد الحب
حبًا...!
كلّما تذوقته
اختلطت حلاوة أصابعك
بقطع السكر
من يديك
وأنت تقدّمها لي

فأحتسي من حياتي فنجانا
سكّره زيادة

.....
أيها الرجل الذي
معه أبدأ أيامي،
فتماشيه منتشية
بأدفا قهوة
بالذحب
وأروع قصيدة...

هذيان الجسد قبل الأخير

أبو معاذ المطوي

في عمري الماضي انكفأت طويلا
في النوم حيناً، في الحياة قليلا
فرايتني أرى الغمام مسهّدا
وأحرّك الرمل الكسول خيولا
وأعقر الزمن المعتق إن بدا
قمر وتأكّلني الظلال فصولا
وأصيح في أعلى الجبال مكابرا
وأسنّ للصمت الغزير سيولا
وأغازل الأحلام بين خدورها
ويصير طرفي، إن سفرن، كليلا
وأحطّم الأوثان في أوكارها
وأردّ عن صنمي القديم بديلا
وأعانق النجمات في عليائها
وأضيع في عتم الطريق دليلا
وأتيه فوق العالمين لأتني
ما كنت ممّن بدّلوا تبديلا
وأفرّ من نفسي إلى أرض مرا
ياها حطام ليس ينبس قيلا
فتملّ منّي غربتي أو ربّما
أيقنت أنّي لا أطيق رحيلا
فاخترت بين الأرز فينا عابدا
مستتقا في صمته التوأويلا

أ غُرستُ في وطن غريب ليس فيه
ه للمنايات أن تكون نخيلاً؟
وحفظت عرضي أن يدنّس طرفه
لؤم فلم يعد الرداء جميلاً
وسكنت ضفّة جنة شعشاء لم
تعرف صنوف قطوفها تذايلاً
لم أمش أبعد من مسيرة نظرة
فيها فلم أر كوثراً معسولاً
وحلمت بالعنقاء تفتق نارها
فشربت من كأس الرماد شمولاً
إنّ اشتعالَ الرّوح شيباً برزخ
ثون السُّيول فلا تُجدُّ طُلولاً
ووقفت أنظر أن يوافيني صدا
ي فنرمق المارين فيّ فضولاً

أفق خجول يختفي في طيّ صم
ت منثن في المنتهى مخذولاً
صمت تهاوى في الدجى واغتاله
همس اللّمي إذ أوشكت تقبيلاً
والأفق يصرخ في دمائي هادراً
ألوانه لا تقبل التّأويلاً
تنهال من كلمات سحر دافق
شهُبٌ عذابٌ أحكمت تنزيلاً
فيمزّق الجسد الغريب رداءه
عن مارذ ظمآن قام عجولاً
وأخيط من صبحي الجديد أناملاً
حمّى تشابكها تضيء فتيلاً
تجلو بداية صورة حفرت على
جدران صخر قارب التّأويلاً

هطول الرحيل الأخير

نادية الشتيوي

وحدي أنا أتقاسم دفء الهطول
وأمحي كفراشة يخترقها... ضوء الرحيل
تتناوب الأفعال في نظراتي
أقتاتها لتأنيث الوسائد
على وسطي وخاصرتي

كنت معي يوما هنا
تعاند بعض شموخي الأنثوي
تستقل عن وداعتي... رابضا
كاحتداد الشمس بالأفق...
وبحنيني

الأرض الأنثوية ما عادت تحملي
برائن جدائي تفترسني
حتى انسياب شعري ما عاد يلهمني
والفستان المخترق لكثفي
ولى يهرب مني
بحثا عن عري السراب
وأنا في احتضار بساتيبي
أنأى عن اختراق أنفاسي

واقْتناء سجائري وتأويل حاجبي
عن استراق الأمل في لحظات الرحيل

الزخات المتعانقة في الهطول
تركع للأرض تقدسني أنا
حورية الكلم الأخير
ترتعش فرائصي كالانتظار المؤقت
كالانهيار... كالتجاوب المصاحب للافتراق
كاستباقك في لحظات الخيال
يلهو بذاكرتي عبيرا طيفك
يرتعش مع شذى الأوراق
والريح تحملني على عرش ذكرى
سديقتني إلى المصير

نظارتي السوداء تلحق رؤيتك
وشالي الوردي يفتني عطرك
في التحاف قبيل المساء
وأنا وأنت كنا نغرد لكل عيني
نغازل جمالي في لحظة احتفاء
لازلت أفق هنا... أسامر يوما انطفأت ذكراه
أنوثتي تعصف بي... عطري يلفحني
ترتد جدائي... سمرتي الخمرية...
تسأل
أين أنت هذا المساء

لن يبزغ فجرك ...

إبراهيم الفرشيشي

لن يبزغ فجرك من بعدي
فانتظري صباحاً لن يأتي...
و قفي أطلاقاً جامدةً
تستجدي قافلة الصبر..
صيري ذاكرةً أو عوداً
أو كوني وتداً مشدوداً
صيرتكِ دربي لكني
ألفيت طريقك مسدوداً..
و الساعة حانت يا قمري
فانبلجي الآن كموؤود..
لم يخلق بعد ولم يفتق
كوني نسياناً وانتظري..
أنثى تهواني كما أفعل
أنثى لا تغدر عاشقها
لا تنكث حباً طوقها
لا تنهل من كل إناء..
حتى لو كان كما الجدول
سيظل قصيدي يذكركني لن
يسهي عني أو يغفل
لن أرثي زمناً مقبوراً
شنت ساعتك فانطلقني
لن أرثي من مات غروراً

فانتظري صباحاً لن يأتي
وقفي أطلاقاً
و انتظري
كي يرجع أصحاب السبت

في القصة

“سأرحل”

ختم البرقاوي

سأرحل...

على درب البقاء.

قامت إلى خزانة. رتبت بعضا من حوائجها في حقيبتها. أحست بضيق شديد. جلست إلى حافة الأريكة. ضمت رجليها إلى صدرها كأنما تطبق على سيل الذكريات عساه لا يجرفها، عساه لا يخنقها.

رنّ هاتفها المحمول معلنا عن بلوغ إرسالية. قرأت: "سأظل أحبك على الدوام رغم كل اختلافاتنا... رغم كل انفعالاتنا"

كان وقتها يقطع الطريق ممسكا بيديه هاتفه المحمول يرجو أن يبشّره برد منها.

لم تكن بعد قد اتخذت قرارها ما إذا كانت ستخبره عن حملها أم لا. لم تكن بعد مستعدة لحمل في أحشائها.

لم يكن يُقدّر وهو يرفع صوته ثم يده أنه كاد يكسرها... أنه وقتها كان يخسرها....

من نافذة الغرفة أطلت على حديقة البيت الصغير منها على شارع الحي الصغير الذي سكناه منذ مدة والذي شيده الدولة خصيصا لصغار الموظفين.

فاتها وقت الوظيفة. على كل هي لم تكن لتقوى على مواجهة زملاءها بخدها المتورم.

دخل الغرفة دون أن تنظن إليه. وقف فُبالتها ولبرهة تقاسما ذات المشهد المطل على حديقة البيت الصغير.

ارتى في حُضنها.. تعانقا مطولا. انهمر منهما سيل من الدموع... همست في أذنه :

"سأرحل"

بداية يوم صعبة

معز جعفر

امتطيت الحافلة ككل صباح للذهاب إلى الجامعة وبدأت رحلة المعاناة مع الاكتظاظ وأخذ الحذر اللازم لتجنب أي عملية سطو من قبل مجهول على هاتفي الجوال أو خمسمائة مليم. أخذت مكانا حذو النافذة وكنت أراقب باهتمام ما يجري في الحافلة من نقاش وتبادل الكلام النابي بهدف المزح تارة والحوارات الساخنة بين قاطع التذاكر والركاب تارة أخرى، والتي وإن كنت أجهل محتواها نظراً لكثرة الضحيج إلا أن الحركات والانفعالات كانت لوحدها تكفي لفهم النقاش الأبدي الذي دائماً ما يجري بين مقتطع التذاكر والراكب : اشكالية إثبات الوضعية القانونية للممتطي وما ينجر عنها من مسائل قانونية هامة كعبء الاثبات ووسائله... كان ما يجري في الحافلة من أحداث إلى جانب الديكور الجميل الذي كانت فتيات الحافلة يضيفينه على الجو العام تشد اهتمامي أكثر مما كان يجري من وراء النافذة رغم التشابه التام في الأحداث والديكور بين المناخ الداخلي والمناخ الخارجي. قد يكون ذلك نتيجة مواكبة الأحداث من مكان الحدث مثلما تقوم به بعض الفضائيات التي تحقق نجاحها بمجرد المواكبة من مكان الحدث لا غير. رغم معرفتي للكثير من الأشخاص في الحافلة إلا أنني كنت أتجنب

مبادلتهم الحديث للبقاء في حالة هدوء نفسي فالساعة تشير إلى الثامنة صباحاً والنهار ما يزال طويلاً للحديث عن حماقات الأصدقاء ومقابلات الكرة وغير ذلك مما يتبادلته إعلام فضائح المشاهير . لم أكن وحدي في هذا المقهى المتحرك الذي يفضل السكوت والسكون فقد كان من بين المنتسبين لهذه "الإيديولوجيا" فتاة تلبس حجاباً وقفازين تعودت رؤيتها في الحافلة في هذا الوقت وكانت تنزل دائماً قبل محطة الكلية أين ينزل معظم الركاب. اليوم الحافلة مكتظة بشكل مهول وكانت تلك الفتاة تتقدم للنزول في المحطة التي تعودت النزول فيها. كانت تنادي على من يقف أمامها ليسمح لها بالمرور نحو باب النجاة. ترددت نفس العبارات لكل شخص أمامها " هل ستنزل؟" بغية مواصلة طريقها إلى أن اصطدمت بشاب طويل يضع سماعتين على أذنيه. سألته كما فعلت مع من كان قبله ولكن لا مجيب. كانت المهمة صعبة للغاية فالشاب منشغل في الاستماع للموسيقى الغربية أو الشعبية المحلية لا غيرهما مما يجعل بلوغ السؤال حاسة سمعه أمراً شبه مستحيل. ظهر الارتباك على تلك الفتاة المحجبة والسائق على وشك بلوغ المحطة التي تنزل فيها وكانت تحاول إيصال صوتها إلى الشاب عله يبتعد عن طريقها. المهمة تبدو مستحيلة هذا اليوم لتلك الفتاة فأمامها ثلاثة شبان أغبياء يعشقون الموسيقى. فتح الباب في المحطة التي تعودت تلك الفتاة النزول فيها ولم تلحق بركب النازلين. أغلق الباب. استسلمت والتزمت السكوت ربما كانت تعلم بأن الفتيان الذين أمامها سينزلون في المحطة القادمة محطة الكلية فقد كانوا يحملون محافظات. على أي حل ليس أمامها أي حل سوى انتظار لحظة الفرج. فتح باب الحافلة

في محطة الكلية ونزلت. تفصلني بضع أمتار عن الجامعة في حين سوف
تعود تلك الفتاة كيلومتراً إلى الوراء على رجليها لتبدأ يومها الجديد ليس
بأفضل حال.

نعمة الغنيان

حبيب الهاني

أدرك منذ كلماتها الأولى أنّها لن تتركه بسهولة. دخلت المقهى وهو يجلس وحيدا، كعادته، يطالع رواية "الغنيان" لسارتر ويرفع عينين جامدتين إلى النافذة يتأمل قطرات المطر تتجمّع وتتحوّل بسرعة، معهودة في العاصمة، إلى برك تجعل المشي في الشارع أشبه بالسباحة. لم تجد طاولة خالية، فقد احتفى بالمقهى عدد كبير من المارة خشية المطر، وبحثا عما يجلب الدفء في هذا الطقس الذي لم يستعدّوا لمواجهته. رأت كرسيًا شاغرا بجواره. قرع مسامعه صوتها المتعب مستأذنا في الجلوس إلى جواره. قرن حاجبيه في ضيق، فهو يكره الجلساء المجهولين وغير المتوقّعين. لكنّه لم يعدم بقيّة من لياقة. شكرته، وجلست وهي تسترسل في الحديث عن الطقس وعن متاعب النقل وهو ينصت إليها متأقفا. تحفّر للوقوف ومغادرة المكان فشيء من البلبل أهون من مشقّة الاستماع إلى ثرثرة هذه الغريبة لكنّها توقّفت لحظة عن الكلام عندما لمحت عنوان الكتاب الذي يحمله بين يديه. اخنقى التعب من صوتها وهي تحدّثه عن ولعها بالأدب الوجودي وعن سارتر وكامو ودي بوفوار. أسند ظهره إلى المقعد في شيء من الذهول. لم يكن يتوقّع أن تكون هذه الشقراء الجميلة من المولات بمثل هذه المواضيع.

زايه تحفظه وانبرى يطوف وإياها ذلك العالم. بعد ساعة أو نحوها، نظرت إلى ساعتها، وغصّ هو بريقه. استأذنته في الانصراف. طلب منها، في صوت واثق أنكره هو نفسه، رقم هاتفها حتّى يتسنى لهما إكمال النقاش. ابتسمت ابتسامة أنثوية خالصة وهي تمليه عليه. راقبها وهي تغادر المقهى تحتّ الخطى وتكاد تعدو حتّى تدرك الحافلة ثمّ التفت إلى كتابه. وابتسم وهو يقول: "الحمد لله على نعمة الغثيان."

ثورة لم تحدث في الجزيرة

فيصل بامري

أثناء المشاركة في إحدى المظاهرات المطالبة بإسقاط النظام سمعت صوتا خافتا كأنه منبعث مني غير ذلك الذي يصدر عني فتجاهلته خاصة وأنّ الهدير من حولي قد جعلني لا أفقه شيئا ممّا يردده ذلك الصوت الخافت. ولكنه شيئا فشيئا أخذ في الارتفاع حتّى أنّني حين توقفت عن ترديد شعارات الثائرين سمعته بكل وضوح فلم أصدق أنّ ذلك يحدث بالفعل. ولمّا نظرت إلى من حولي لم ألحظ عليهم ما يوحي بأنهم يسمعون صوتي الآخر

فارتبكت وخفت كثيرا وأنا العاجز عن تجاهله أكثر بغية الاستمرار في المظاهرة.

و رأيتني وأنا أتأخر شيئا فشيئا حتّى تجاوزني المتظاهرون وغابت عني أصواتهم ولم يبق غيره.

فزعت وقد صار ينطلق من كلّ جسدي فلم أعرف كيف أكتمه. وبحركات مجنونة لفتت انتباه المارة أخذت أنقل يدي من فمي إلى بطني وحتّى قدمي المرّدتين لذات الكلمات. ولكن دون جدوى. حينئذ لم أجد من حلّ غير الجري مغمض العينين.

ورغم أنّي أجهل كيف استطعت الوصول إلى المنزل دون حوادث فإنّ جسدي واصل الصّراخ.

دخلت غرفتي وأغلقت الباب وأنا أرتعد من شدّة الفزع حيث كان كلّي يصرخ: "حريّات حريّات، يكفينّا تطمينات... مطالبنا سياسيّة لا استبداد ولا ساديّة... يا جسد تُور تُور على نظام الدّكتاتور"...

ويعلو الصوت حتى أصير عاجزا عن الوقوف وقد اهتزت الغرفة لـ
"إرحل.. إرحل.. إرحل"

فأتساءل في استنكار: "كيف أرحل عن جسدي الحبيب الذي قضيت ربع قرن في خدمته ألبي طلباته وأشبع غرائزه وقد وقرت له عيشا كريما ونمطا حياتيا يحسده عليه البقية؟".

ومضت ساعات وأنا أفكر في المؤامرة التي تحاول بث الفتنة في وطني.

ورغم أنّي كنت بين الحين والآخر أضرب رأسي وبدي بالحائط فإنّي عجزت عن صدّ الموج الهادر الذي ازداد قوّة وتماسكا حين نزفت جبهي وبدي وصرخت مواطن أخرى متّي تحت وطأة ضرباتي الموجعة.

ولم يأت المساء حتى غيرّ جسدي من سياسته فلم يعد مقتصرا على الصّراخ وترديد الشعارات بل إنه أخذ في إعلان العصيان تارة في قدمي وطورا في يدي فصرت عاجزا في كل مرة عن التّحرّك إلّا في حدود ما يسمح لي به.

حينها فقط أدركت أنّ نهايتي قد اقتربت وأنّي إذا لم أحسن التّصرّف في السّاعة القادمة فإنّي راحل لا محالة.

ومنعت نفسي من التفكير في الوجهة إذ لا جسد سيقبل بي حاكما له إذا ما
قدّر الله و...

“لا لا مستحيل، لن يحدث ذلك الأمر أبدا.”

ولأنّ الفكر متى تعرّض إلى الضغط الشّدِيد أظهر إمكانات غير معروفة
وبراعات خفيّة فأبني اهتديت إلى حلّ.

سألت صوتي أن يحمل عنّي طلبا إلى بقيّة الجسد فرفض في البداية معلنا
دعمه الكامل للتأثرين وحين طمأنته بأنّه خائن لي استجاب فسمعته وهو
يصرخ: “أنا أطلب الهدنة بغية التفاوض” فسرى صمت رهيب في جسدي
لأوّل مرّة منذ ساعات.

كنت أشعر بحالة الترقّب التي يمكن أن تنتهي في أيّة لحظة فظلت صامتا
فترة من الزّمن وحين سألت الصّوت مرّة أخرى كان الإعلان التّالي:
“أيّها الجسد العظيم، أيّها المناضل الكبير،

لا يشكّ أحد في أنّك قد خطّطت اليوم ملحمة لم يسبق للتّاريخ أن شهد مثلها
وإني لفخور جدّا بك وبإنجازاتك وعلى استعداد تامّ لتلبية كلّ مطالبك”.
سكون تامّ ثمّ

“ولكنّي حين نظرت في مطلبك الأساسيّ المتمثّل في رحيلي عنك وجدت
أنّك لم تقرّأ حسابا للفراغ الذي سيحدث من بعدي”.

فكرت حينها أن لو كانت عيناى تحت تصرّفى لرأيت الشكّ يشقّ جسدي
محدثا انقسامات كبيرة ولكن...

“وحرصا على وحدتك وحماية لك من الأطماع الخارجيّة فأبني أعلن
استعدادي التّام لمنحك الحرّيّة والاستقلاليّة وسأبدأ منذ اللّحظة في تزويد كلّ

الأعضاء بما يحتاجون.

فهلّموا واصلوا ثورتكم وليسأل كلّ عضو حاجته"...

وما إن أنهى صوتي الإعلان حتّى سرت هممة كبيرة وكثرت الهمسات

واشتدّ الصّخب ففكرت أنّ مصيري سيحسم في اللّحظة الموالية.

"أريد حذاء فاخرا وجوارب جديدة وسيارة" صاحت قلمي، فابتسمت.

"لقد ضقت ذرعا بأكلاتك الرديئة وأريد لذيذ المطاعم من هنا فصاعدا"

نادت بطني، فكتمت ضحكة ساخرة وقد أيقنت من نجاح خطّتي.

و توالى النداءات رافعة شعارات مغايرة لتلك المزلزلة فأسرعت أقترض

من أصدقائي أحقق مطلب ذاك وحاجة تلك.

وماهي إلاّ أيام حتّى خفتت الأصوات وعمّت السكينة جسدي فأعلننّ نجاح

الثّورة التي ستكتمل بإجراء انتخابات شرعية نزيهة ستحدّد الحاكم القادم

لجسدي رغم أنّ لا منافس لي.

ولكنّي متمسك بالديمقراطية والشفافية التي ستُخمد إلى الأبد بعض

الأصوات القليلة التي لا تكاد تسمع وهي تحاول دون جدوى إحياء الثّورة

من جديد.

وهكذا انتهت الثّورة التي أعلنها جسدي ذات تظاهرة كنت أشارك فيها

فاستأنفت مظاهر الحياة فيه سيرها العادي، بل وكأفنت بعض أعضائي

بتغيير شعارات قديمة بالية ك"جودة الحياة" و"بالأمن والأمان" ...

بشعارات جديدة من نتاج الثّورة كالحريّة والتّنمية والعدالة والديمقراطية...

وحتّى أضمن التّصر الكامل فقد أصبحت أمنح جسدي أكثر ممّا يطلب

فسدّت كلّ الأفواه وما عادت تقدر على المطالبة بالمزيد. ورغم ذلك ظلّ

هاجس ما يشغل بالي مكدرا علي صفو حكمي الرّشيد.
فما المانع أن يشهد جسدي ثورة أخرى تكون أعنف من الأولى تطيح بي؟
لذلك قرّرت التّوقّف عن الخروج إلى السّاحات الثّائرة والانزواء في
غرفتي أطلع كتبنا لطالما كانت مهمّتها الوحيدة تزيين مكتبي الفخمة. لقد
فكرت أنّه يجب عليّ الإطّلاع على كتب التّاريخ والدراسات الاجتماعيّة
والسياسيّة حتّى أتمكّن من مفهوم الثّورة أسبابا وسيرورة ونتائج.
وهكذا صرت أقضي السّاعات الطّوال منتقلا بين ثورات ما قبل التّاريخ
وصولا إلى الفرنسيّة فتلك التي وقعت برومانيا فاستلهمت منها طريقة
ناجعة يتمكّن من خلالها النّظام من الاستمرار حتّى وإن فصل عنه رأسه.
ثمّ إنّي تمكّنت أخيرا من كلّ المصطلحات الشّائكة المتلونة من عصر إلى
آخر وأدركت أنّها المسبّبات الرّئيسيّة الثّورة.
وقد كنت مهتما في ذات الوقت بجسدي الذي صار طيعا أكثر منذ منحنه
الرّاحة وأغرقتة في الملذّات. ويبدو أنّ تلك الخطوات الأخيرة قد لقيت
استحسانا كبيرا لديه إذ بدأت تردني بين الحين والآخر برقيّات المناشدة
ورسائل البيعة، كيف لا وأنا الحاكم العادل المثقّف الذي تدعو له الرعيّة
بالحكم الرّشيد والعمر المديد.
ولا أخفيكم أنّي شعرت بفيض من الغرور يتملّكني خاصّة حين حمل لنا
يوم جمعة مجيدة خبر إسقاط الحاكم فابتسمت وقد أدركت أسباب فشله في
الانقاف على الثّورة.
وحثّي لا تفوتني تلك اللّحظات التّاريخيّة فقد انطلقت إلى الميادين أشارك

الشَّعب فرحته بالانتصار العظيم وأنا على ثقة بأنَّ جسدي سعيد هو الآخر
في سباته العميق.

و بعد ساعات من الرِّقص المتواصل وتبادل التَّهاني عدت منهكا إلى
المنزل فاستلقيت على السَّرير وأخذت أزرع فرحتي المضاعفة بين أرجاء
الغرفة حتَّى وقعت عيناى على صورة للمناضل الأُمى تشي غيفارا
تتوسَّط مجموعة من الكتب المبعثرة في غير عناية.
حينئذٍ خطرت ببالي فكرة غريبة وافق عليها جسدي بسرعة رغم حالة
الإنهاك التي كان عليها.

فنهضت عن سريري وأخذت أرقص بجنون فوق الكتب والدَّراسات التي
غطَّت أرضية الغرفة. وقد كنت أمسك أحدها بين الحين والآخر أمزَّقه وأنثر
أوراقه عاليا وأنا أضحك بشكل هستيري لم أعرفه من قبل.
وتواصل جنوني ذلك حتَّى أتيت عليها جميعا كتبا وصورا فاستلقيت على
الأرضية وقد تملَّكتني الأم شديدة في رأسي الذي فقدت كلَّ تواصل معه
وأنا أشعر بغرقي وسط دوامة دائرية ضخمة.
وفجأة شعرت بقبضة تمتدَّ إلى رقبتى تهزني هزًّا عنيفا تضغط عليها بشدَّة
تكاد تقتلني فدفعتها عني بصعوبة وأنا أحاول التَّهوض فلا أفلح.
وقد عجزت حتَّى عن فتح عيني لثقل في جفوني لم أعرف مرده.
ففكرت حينها أنّ أحد أفراد العصابات التي ظهرت من العدم في أولى
ساعات النَّصر قد قرَّر السَّطو على المنزل.

كدت أصرخ: "يا إلهي... أمي؟" ولكنّ يدا أخرى منعتني من الصّراخ
فاستجمعت كلّ قواي وقد ارتسمت صورة والدتي أمامي ودفعتها عنّي
ونهضت، ونجحت أخيرا في أن أفتح عيني.
وكم كانت المفاجأة كبيرة حتّى أنّي نسيت أمري ونسيتها وأنا أرى الغرفة
قد اتّسعت وتباعدت جدرانها التي ارتفعت عاليا فصارت كأسوار سجن في
ليلة مظلمة غاب قمرها وانقطع فيها النّيار الكهربائيّ.
كان الظلام شديدا يحيط بي من كلّ جانب فلا أكاد أرى غير الجدران
البعيدة وقد علتها أسلاك شائكة.
شعرت بوهن يسري في جسدي وحين كدت أسائل نفسي عن الأيدي التي
كانت تخنقني وقع بصري على الأوراق التي كنت أمرّرها فأدركت أنّي لم
أكن أحلم.
وقد أفرغتني تلك الفكرة كثيرا وزادني جهلي بما حلّ بي خوفا ورعبا.
جلت ببصري في مختلف الاتجاهات بحثا عن منفذ ولكنّي لم أجد غير
أسوار وبعض الغربان التي أخذت تنعق بصوتها الكريه الذي زادني رعبا.
خفضت عيني فرأيت ما انعقد له لساني وارتعدت له فرائصي: لقد كانت
الأوراق الممزّقة تقترب من بعضها وتتحد لتتشكّل رويدا رويدا أجسادا
مافئنت ترتفع حتّى صارت بطولي وأكثر.
كدت أسقط إذ لم أعد أقوى على الوقوف أكثر وأنا أرى ما مرّفته قبل ساعة
قد تحوّل أجسادا بشريّة بلا ملامح ولكنّها كانت تصدر أصواتا مرعبة جدّا
أبكتني.

وكم زاد رعي حين بدأت تسير نحوي وقد صارت لها فتحات في وسطها
ظننتها أفواها ستلتهمني ما إن تصلني.
ولأني كنت عاجزا عن الحراك فقد أتوسل جسدي حتى يتأخر بعض
الخطوات فأراه وهو يحاول فلا يفلح.
فأذكره بكلّ النعم التي كانت تأتيه وأنه لو فشل في الهرب فسُجرم منها إلى
الأبد.

وواصلت على ذلك المنوال حتى تحركت غرائزي فمنحتني قوة للرّكض،
ولكنّ الأجساد كانت قد سدّت كلّ المنافذ فلم أجد بداً من التقدّم مباشرة أشوّ
صفوفها الكثيرة.

لم يكن هناك من حلّ غير ذاك الذي اهتديت إليه خاصّة وقد لاحظت أن
تلك الأجساد بلا أعين تبصر بها.

إذن ليس عليّ سوى تفادي أيديها الممتدّة وتجاهل أصواتها المرعبة.
وهكذا استطعت إقناع جسدي بالرّكض نحوها مباشرة. وفعلا انطلقت بكلّ
ما منحتني إياه من قوة أجري مندفعاً حتى إذا ما اقتربت منها زادت خفقات
قلبي بشكل رهيب فأغمضت عيني وأعلمت جسدي أنّها لحظة الحسم فإمّا
خلاص وإمّا...

ولمّا كنت أتجاوزها على غير هدى كانت أصواتها تصلني بوضوح
فوجدت فيها الكثير ممّا كنت أقرأه.

وأيقنت أنّها تلك المصطلحات التي رحّبت بها في فكري حتى أسيطر على
جسدي أكثر فإذا بها تقود أفكاري للثورة ضدّي تريد نهايتي أنا الحاكم..

قضيت في الرّكض دقائق حسبتها دهرا حتّى خارت قواي أو كادت
،فشعرت باستحالة الخلاص وقد وصلتني الأيدي واحتلّنتي الأصوات وما
عدت أقدر على التّقدّم أكثر فسقطت على الأرض وقد أيقنت أنّها التّهاية
فاستسلمت للتّقل الذي أخذ يعلوني حتى أنّي سمعت طقطقة عظامي ومُنعت
من التّنفّس وسمعت صوتا خافتا يصدر عني يعترف بالخطأ طالبا الصّح
والمغفرة فتجاهله أفكاره متواصلة خنقي حتّى جحظت عينايا...
سامي،سامي هيّا لنهرب،لقد استيقظ عمّي...

يصيح ابن أخي الأكبر وهو يجرّ أخاه الأصغر الذي كان ممسكا بركبتي،
فتتلاّأ عينايا بالدّمع وقد عرفت أنّي كنت نائما وأنّهما كانا يلهوان في
غرفتي وقد نثرا فوقيّ أوراق الممزّقة في حين جلس الصّغير على
صدري يلاعبني بشقاوته المحبّبة إلى نفسي

بقلبي أراك

روان بنرقية

في ركننا المعتاد بالمقهى... حيث كل أسباب السعادة تغمرنا بتساؤلات عن الغيب.. هناك... حيث ننتقل نهائيا عن العالم المادي ونسبح معا في ملكوت الله... هناك.. حيث ننسى أعمارنا ومن أين جئنا.. وإلى أين نذهب.. هناك.. حيث لا أحد يراقب ذكرياتنا... أو يحاسبنا على أفكارنا وأحلامنا... هناك حيث تترعرع أحلامنا أمامنا.. حيث تلخص نظرات عينيه الحياة.. كان يمسك يدي بلهفة... و يرمقني بنظرات متعبة.. لاهثة... كان في عينيه نوع من التوسل..

- لا تذهبي... لا تذهبي... لا أستطيع التنفس من دونك.. الحياة بعدك عبث وانتحار بطيء..

لم أكن أنظر إليه... بل كنت أتأمل النصف الأعلى من الكون... ذلك النصف الذي أحب... كانت الشمس تميل إلى الغروب... والسماء تسبح في خليط رائع من الألوان... لم أكن أنظر إليه... لكنني حفظت ملامحه عن ظهر قلب.. حفظت حركاته.. وتغير سحنته من الفرح إلى الغضب.. ومن الحزن إلى الانسراح... ومن الهدوء إلى الانفعال...

- لن تذهبي... أليس كذلك... لن تتركيني..

كان يتكلم بتعب... بينما أحاول جاهدة أن أخفي دموع اللوعة والحرقلة التي
تعتصرنى منذ أيام.. منذ آخر لقاء لى مع الطبيب...
-للأسف.. فان الدواء الذى تتناولينه منذ مدة لعلاج القلب قد أثر سلبيا
على قرنية العين... ولا أخفيك سرا... هذا الدواء هو الوحيد المتوفر حاليا
لعلاج ما تعانين.. لكن تناوله سيؤدى بك إلى فقدان البصر... فلك الخيار
.. إما أن تنقطعي عن تناوله وفي ذلك خطر حتمى وشديد على القلب.. وفى
المقابل تستعدين صحة عينيك.. أو تستمري فى تناوله.. مع احتمال
كبير... أن
تصبحى
ضريرة...
ضريرة... كلمة لزمتمى فى نومى وفي صحوى .. و رقدت بين الدمعة
والدمعة.. و أى سخرية للقدر .. عندما يضعك بين خيارين أحلاهما
مفجع... صادم.. مميت... و هذا الطبيب الأحمق.. أيهزأ بى أم
بنفسه... أئخيرنى بين موتى وبين حياتى فى ظلمة دامسة... و أى حياة هذه
التي تعاش بدون بصر.. بدون نور... بدون شيء يذكر...
-يجب أن أسافر ... لا خيار لى... ولا تقلق .. فلن أغيب
طويلا... ستكون فترة نقاهة صغيرة أسترجع فيها عافيتى تماما ... سأغيب
قليلا لأعود إلى الأبد... و سنلتقى مرة أخرى فى ركننا المعتاد حيث أسند
رأسى على كتفيك وألقى بتعبى جانبا وأستسلم للحلم... و ستصطحبنى إلى
المنزل سيرا على الأقدام كما فعلت دائما ... لا تنسى أن فصل الربيع على
الأبواب وأن شهر ماي قريب ... شهرنا العزيز الذى ولدنا فيه معا..
سيكون هناك الكثير من الأشياء الجميلة فى انتظارنا...

كنت أحاول طمأنته...كنت أكذب...لم يكن بوسعي إلا أن أكذب وأنا أشاهد الاضطراب الطفولي في نظرات عينيه...كانت في عينيه سحابة داكنة وألم دفين...وحيرة أشبه بالشك..أو شك أشبه بالحيرة...لم يكن بوسعي إلا أن أكذب منصاعة للصوت الإلهي القادم من المجهول ..كان صوتنا قويا ..دافقا..حادا يصرخ بي ويتوسلني أن أرحم هذا العاشق المتعب ..هذا المحب الصادق الذي تأبى الحياة إلا أن تذيبه أصناف العذاب... كنت أكذب...وكنت أفادى النظر إليه حتى لا يكشفني..فالمحبون لهم إحساس استثنائي وقدرة عجيبة على كشف أكاذيب من يحبون... كنت اكذب..ما قلته لا أساس له من الصحة ..ولا يتعلق الأمر بالسفر إلى الخارج للتمتع بفترة نقاهة كما ادعيت .. في الحقيقة ..لن أذهب إلى أي مكان...سألازم البيت لمدة قد تطول وقد تقصر...في الحقيقة ..لن أبارح المدينة...و لن يكون بيننا من المسافات ما يتخيله..بل سأبقى في المنزل ..لا لشيء...إلا لأدرب نفسي... على العمى.... كنت أكره الوداع...الوداع لا معنى له بالنسبة لي..هو كالموت بالنسبة لي... نكون..فلا يكون.. ل طالما اعتقدت انه لا وجود لنهايات..بل هناك دائما بدايات لأشياء جديدة..لأحداث جديدة..لتفاصيل جديدة...

حاولت أن أجعل ذلك اليوم عاديا إلى أبعد الحدود..يوم ..كأيام الأسبوع الأخرى...بحيث اصطحبني في نهاية اللقاء إلى المنزل سيرا على الأقدام...كانت المدينة غارقة في السكون ..وكانت الشمس قد غربت ولم تترك على وجه السماء سوى بعض خيوط أرجوانية رفيعة ممتدة إلى

أقصى الحلم... وما إن وصلنا إلى باب البناية حتى استقبلنا صوت فيروز
كالعادة شجيا... منطلقا بجنون وحرية من دكان الحي... نفس الأغنية
..تعود صاحب الدكان أن يسمعها كل مساء عشرات المرات.. وتعودنا أن
نسمعها نحن أيضا حتى انسنا بها وأنست بنا.. ورددنا معها بصوت
خافت... أنا لحبيبي.. وحبيبي إلي.. يا عصفورة بيضا لا بقي تسالي... ما
بيعتب حدا.. ولا يزعل حدا.. أنا لحبيبي.. وحبيبي إلي...
لم يكن هناك عناق حار... أو تبادل قبلات صغيرة.. لم يكن هناك دليل واحد
على الغياب... لكن كل منا أحس بتلك الغصة الحارقة التي تنبئ بالفراق
تمزق أحشاءه... وولج معي إلى ردهة البناية.. لم يكن قادرا على الذهاب..
كان ينظر إليّ بلوعة.. باشتياق كأنه قد مضى قرن على آخر لقاء لنا... كان
يمسك بأطراف ثوبي كطفل صغير يخشى لو ترك الثوب.. أن يختلط
بالزحام... و يضيع ضياعا أبديا... كانت الردهة مظلمة ... وسكون غريب
يمتد في المكان أشبه بسكون الموت.. وصوت فيروز يأتي من بعيد.. من قاع
محيط.. أنا لحبيبي.. وحبيبي إلي.. ولم اعد قادرة على الصمود...

.. التهمتني الهواجس دفعة واحدة ولم اشعر بالدمعة الحارقة التي نفرت من
عيني فجأة وتبعثها أخرى وسرعان ما شعرت بسيل ساخن من الدموع
يغمر وجنتي... فكرة فقدانني للبصر تكاد تقتلني... ووجه رافاد.. وملامحه
الهادئة الجميل.. وليل عينيهِ الدافئ.. كيف لي أن لا أرى كل ذلك من
جديد.. كيف لي أن أعيش بدون نور ابتسامته ونظراته المتعبة.. كيف..
-أتبكين...

لوعة...

في

قال

اعتقدت أنه لن يلاحظ بكائي...لم يكن هناك ما يكفي من النور ليلاحظ ذلك..إلا أنه قال بنفس الهدوء...و نفس التعب... كنت تخفين دموعك.. أعتقدين أنى لا أرى دموعك في الظلمة... في شرفة الطابق السادس..حيث أسكن..كنت أراقبه وهو يغادر بخطى ثقيلة كأنه مكره على الذهاب...كان يحمل حقيته بتعب ..هذه الحقيبة كم سأشتاق إليها هي الأخرى...أصبحت جزء منه واصبح جزء منها... كان يغيب شيئاً فشيئاً ..وكنت أراقبه بلهفة..أردت لأخر مرة في حياتي أن أطبع صورته في مخيلتي زادا لغد مظلم ... وقبل أن يختفي إلى الأبد عن ناظري..لوح لي ببديه كما كان يفعل دائماً..وفى تلك اللحظة تماماً..مرّ من فوقه سرب من الحمام...

-

وبدأت رحلتي الأخيرة إلى اللاشيء...أصبحت أعيش حياتي في هدوء أشبه بالموت....تلاشت كل الأحلام..انهارت كل قصور الرمل التي شيدها بيدي الصغيرتين على رمال الشاطئ عندما كنت طفلة...ألم مقيت يخزني في أعق نقطة من ذاتي...وهذه الغصة الحارقة التي تتبعني حيثما ذهبت...أحس بانى قد تألمت بما يكفي..و خذلت بما يكفي...ولم يعد في جسدي مكان لجرح إضافي..ما عاد في قلبي مكان لفاجعة أخرى...ما عادت لي قدرة على احتمال أخرى...لا ثقة لي في الغد.....رافاد..لقد ضقت بالحياة وضافت بي...قلبي كالبيت المهجور تنفخ فيه الريح من كل جانب...لقد قلت أن الغد لا يعني...فنحن لا ننتمي سوى للحاضر ولا شيء غير ذلك..الحاضر هو ملكنا الشرعي الوحيد...وما عداه وهم

وعيث... لكن حاضري هو الآخر ليس لي.. لا شيء لي.. كل الأشياء
خذلنتي... كل الأشياء كسرتني... كل الأشياء كسرتني..
أصبحت أدرب نفسي على حياة بدون نور... حياة... بدون ألوان... بدون
طرفات.. بدون حدائق.. بدون قوس قزح.. بدون فجر.. بدون بحر... بدون
غروب... بدون لوحات فنية.. بدون أشجار.. بدون ربيع.. بدون
خريف.. بدون مطر.. بدون ابتسامة أمي.. بدون الخطوط الرقيقة التي رسمها
الزمن على وجه أبي.. بدون دموع أختي عندما يخذلها الحب للمرة
الألف.. حياة بدون النصف الأعلى من الكون.. النصف الذي أحب... بدون
النجمة الوحيدة المعلقة في السماء.. النجمة الوحيدة الثابتة باستمرار... بوفاء
دائم... وحياة بديلة... وحياة... بدون ملامح رافاد... بدون عينيه
المتعبتين... بدون ركننا المعتاد في المقهى... ففي الظلام.. تستوي كل
الأماكن... تستوي كل الملامح.. تستوي الأيام.. تستوي الصباحات
والأمسيات... تستوي الفصول... وتستوي الأحلام.. إن وجدت.. فأني حلم
هذا الذي ينشأ في الظلمات.. وأني حب هذا الذي يعيش دون صور.. دون
ألوان.. دون ذاكرة... دون شيء يذكر...

كنت أنام ليلا على سرير من بكاء.. أسأل نفسي أن كانت هذه الليلة الأخيرة
التي أبصر فيها الكون.. الليلة الأخيرة في النور.. وكنت كلما فتحت عيني
صباحا وداهمني شعاع الشمس المنبعث من نافذة غرفتي انتابني إحساس
بسعادة عارمة.. كأنه يوم عيد.. أحس بانني ربحت يوما إضافيا من
النور.. ربحت يوما إضافيا أتدرب فيه على العمى..
كنت أتنقل بين الغرف مغمضة العينين حتى أحفظ الطريق إلى الحمام

والردهة والشرفة وحتى أحفظ أماكن الأشياء ورفوف الكتب رغم أنني سأحرم من القراءة إلى الأبد.. لكنني سأكتفي بأن أشتّم رائحتها.. لبطالما أعجبتني رائحة الكتب الصفراء القديمة.. درّبت نفسي على ارتداء ملابس مغمضة العينين وانتعال حذائي وتدرّبت على وضع أحمر شفاهي وربط شعري بالطريقة نفسها التي اعتمدها وأنا بصيرة... وأصبحت لي رغبة شديدة واندفاع رهيب إلى تخزين الصور.. كنت أجلس بالساعات إلى جانب أمي أتأملها كالمعتوهة.. كأنني أراها لأول مرة... أحاول بكل ما في داخلي من حب للحياة أن أخزن ملامحها في ذاكرتي لأستعين بها في ليلي الأبدية... وكانت المسكينة تفهم غايتي وتنتابها غصة شديدة وتحاول ما بوسعها أن تتجنب البكاء.. لكنها في النهاية تخرج منديلها الصغير وتحني رأسها الجميل.. وتبكي في صمت...

وفى الليل.. كنت أقف الساعات الطويلة متأملة وجه السماء وأحاول أن أخزن في ذاكرتي منظر النجوم وهي تلمع باحتشام كحبات اللؤلؤ... تدرّبت على الظلمة مرارا وتكرارا حتى تعودت الأمر... ويوم فقدت البصر... لم أبك.. ولم تذرف عيني دمعة واحدة.. ليس لأنني لا أريد البكاء فقد كنت احترق من الداخل.... وكنت أموت في اليوم ألف مرة... لم أبك فقط لأنني ... اعتقدت .. أن من يفقد البصر.. يصبح عاجزا عن فعل أي شيء.. حتى على البكاء..

اشتقت إلى رافادي.. مرت أشهر خمس على غيابي.. ما عاد قادرا على الاحتمال.. كان يطلب لقائي باستمرار.. وكنت أماطل باستمرار... فكرت أكثر من مرة في الابتعاد عنه في صمت لأتركه يتابع حياته في هدوء

لتكون حياة مضيئة... مشرقة كما أراها أن تكون.. لكن حاجتي المجنونة
للمس وجهه وشعره وقيمه المتمرده كانت أقوى وأعرق من أفكاري...
وكان اللقاء...

ذهبت إلى مكاننا المعتاد.. كنت أشق طريقي في الظلمة لأصل إليه وقد
اكتسب قلبي نبضة جديدة.... نبضة افتقدتها منذ زمن.... في الظلمة...
كنت أرى ركننا المعتاد من المقهى.. كنت أرى النور الخافت يغمرنا حبا
ودفنا.... في الظلمة كنت اشق طريقي إلى رافاد.. كنت أعدو .. لأمسك
بطوق النجاة.. لأرتمي في حضنه وانتحب... واصرخ إلى أقصى نقطة ألم
في داخلي... ولا يهمني إن مت بعد ذلك.. كنت أعدو في الليل
الأبدي.. وأتعثر.. وأحاول أن امسك اللاشيء فيبتلعني الفراغ... واسقط
على قارعة الطريق... وينتشلني المارة.. ولا اهتم بسقوطي.. عقلي
..وتفكيرتي.. وجسدي.. وكيانتي بأكمله مشدود إلى نقطة واحدة بدت كنقطة
نور ضئيلة تخترق العتمة.. تلك النقطة هي رافاد.. كنت أتخيله واقفا
باضطراب.. ذلك الاضطراب الجميل الذي يعتريه دائما قبل لقائي.. ساقه
اليمنى لا تكف عن التحرك بتوتر.... يمسك حقيبته بيده.. وباليد الأخرى
السيجارة.. وبعصبية ينفث دخانها.. ويتطاير الدخان في الهواء ويصنع
أشكالا عديدة كثيرا ما تبدو لي كالأطياف تسبح في ملكوت الله وتسبح
له... وينظر رافاد في كامل الاتجاهات متوقعا ظهوري بين اللحظة
والأخرى... أتخيله إذ يراني كيف يزداد اضطرابه وتردده.... بين معانقتي
أو الاكتفاء بسلام بسيط كي لا يثير انتباه المارة.. وتعلو الابتسامة
محياه.. كنت أرسمه بخيالي في العتمة...

على بعد خطوات مني ..كان يقف... استطعت أن أحس بوجوده.. استطعت
أن أشتّم رائحته.. استطعت أن أرى التعب الجاثم في عينيه
بصبر...واقترب مني... شعرت بأنفاسه تلفح وجهي وتكاد تخترقني..
اقترب مني إلى حد الخلود..لكنه لم ينطق حرفا واحدا.....لم أكن اعرف
إلى أين تتجه عيناى..إلى اللاشيء ربما..ففي العتمة تتساوى الأمكنة...لكنه
كان يتأملني في تلك اللحظة..و ينظر بعمق في عيني... اعرف ذلك..لم
يفتني أن احفظ حركاته عن ظهر قلب... وساد صمت
طويل..عميق..أبدي..كليلى...وامتد
الصمت..
لقد كان يبكي...

بصمت كان يبكي..بحرقة....بلوعة...أدركت ذلك حين وضعت يدي على
عينيه فتنبّل كفي على الفور..كانت دموعه
ساخنة..متأججة..ملتاعة...وحاول الصمود لكنه عجز ..فانتفض منتحبا
...كان يحتضر أمامي وأنا في ظلمتي أعيش المخاض الأزلي
وحدي...ووحدي..أصارع الظلمة وأحاول بكل ما في قلبي من حب للحياة
أن انزع الستار القاتم عن عينيّ فقط لأرى دموع رافاد لأول مرة وآخر
مرة في حياتي...لكن الظلمة أبت أن تنقشع والليل أبى أن ينتهي...و
همست
باستسلام...

-كنت تخفي دموعك...أعتقد أنني لا أراها في الظلمة..
كانت الشمس تميل إلى المغيب..هذا ما قاله رافاد وهو يمسك يدي بقوة
ويصطحبني إلى المنزل سيرا على الأقدام كما اعتدنا دائما..أصر على أن
استقل سيارة أجرة لكنني رفضت وطلبت منه أن لا يغير شيئا في عاداتنا

القديمة رغم كل شيء... ووافق رافاد على ذلك... كان ليفعل أي شيء
... أي شيء... ليعيد النور إلى حياتي...

وأدركت أننا وصلنا إلى باب البناية حيث اسكن عندما انطلق صوت فيروز
كعادته يسكر الكون... وتمتمنا معه بصوت خافت مرتعش تقطعه غصة
حارقة... أنا لحبيبي وحبيبي الي..يا عصفورة بيضا لا بقي
تسألني... ورافقتني رافاد إلى الطابق السادس وتركني أمام الشرفة لأراه
بقلبي وهو يمضي بخطى ثقيلة كأنه مرغم على الذهاب.. ويده ممسكة
بالحقيبة بتعب

..بقلبي رأيتَه وهو يبتعد..بقلبي رأيتَه وهو يقف آخر مرة قبل أن يبتلعه
الطريق..بقلبي رأيتَه وهو يلوح لي بيديه..
وبقلبي..أحسست أنه في تلك اللحظة تماما..قد مر سرب من الحمام...

الورد الحرام (2)

روان بنرقية

أكتب يا عدل الإشهاد... أنا فلانة بنت فلان... أعلن اليوم قبولي الزواج
بفلان...

وتتظر الفتاة المغمورة بالسعادة والإثارة إلى الرجل الذنب القابع الى جانبها
ويحرص هذا الأخير على اصطناع الابتسامة العريضة ويرمقها بنظرات
وديعة ليحفزها على المضي قدما في إمضاء صك الشراكة..وهي...ببراءة
الانثى المتشوقة إلى التغيير... إلى الخروج من سلطة الأب ونمطية الحياة
العائلية..بلهفتها الى تكوين عائلة والإحساس بالاستقرار...تمضي
الصك...

أكتب يا عدل الإشهاد.. أنا فلانة بنت فلان...بنت فلان...سأترك اليوم هذا
الفلان اللذي هو أبي..الرجل الوحيد في حياتي اللذي لم أشك ولن أشك يوما
في صدق مشاعره تجاهي...الرجل الوحيد الذي لو تركت العالم بأسره ولم
أخلف ورائي سوى مرارة الغياب لما غبت يوما عن ذاكرته ..و لباع ما
تبقى من سنوات عمره بأبخس الاثمان ليقفني أثري...اليوم سأترك هذا
الرجل الشهم اللذي شاهدني أنمو وأتغير مع الأيام حتى أصبحت اليوم
إمرأة مكتملة الأنوثة والعقل..إمرأة مسؤولة تعود إليها وحدها مهمة اختيار
طريقها في الحياة..و اتخاذ القرارات ..

فكان أول قرار اتخذته هو الابتعاد عن الرجل الوحيد الذي لا مصلحة من وراء حبه لي سوى السعي لمزيد من الحبو والإرتماء في أحضان رجل غريب عني.. غريب عن ذاكرتي.. عن تاريخي.. غريب عن أفكارني .. عن طموحي وعن رغباتي.. رجل لا يعرف شيئا عن جنون طفولتي وتمزقات مراهقتي وحكمة شبابي وعن مرضي وعن تعبي وعن سهر الليالي... رجل غريب عن دنياي..

أكتب يا عدل الإسهاد.. أكتب ولا تتردد.. فأنت من يحرر لنا بطاقات الايداع تحريراً رقيقاً يحيط به الهتاف والضجيج البشري المقيت الذي لا معنى له حتى لا تجرح مشاعرنا... أكتب.. أنا فلانة بنت فلان.. سأترك اليوم المنزل الذي احتمل جنوني وتمردني وصراخي وجموحي ودموعي وعبث كل مراحل حياتي لأذهب الى منزل لا يعنيني لا توجد على حيطانه صور عائلية بسيطة كتلك التي أبدو فيها غاضبة بدون سبب أو أكون فيها مغمضة العينين ..دون سبب أيضاً.. سأذهب الى منزل لا رائحة فيه.. لا أشم على حيطانه سوى رائحة المسؤولية والالتزامات والواجبات الزوجية والتضحية في سبيل الجميع دون مقابل ...

تبدأ المأساة بهاجس.. بفكرة.. بحلم بائس ..

ينتهي الصخب.. ينتهي الضجيج.. يعود الجميع الى بيوتهم..

كيف كانت ليلة زفافي؟ ..كانت ليلة... لا أعرف كيف أصفها.. بل لا يمكن ان أصفها.. فلم تكن ليلتي قط ...كنت قطعة من الأثاث في قاعة العرس.. كالعرش السخيف المضحك الذي نتصدره لنثير انتباه

الحاضرين..كالعمود الكهربائي الذي يبكيني بضوء فاتر أمام القاعة..كنت كالمهرج ملطخة بالأصباغ والألوان..لأبدو مفعمة بالحياة..قالت احدى المزيّنات..وكانها تعذني لاستقبال الموت بعد ذلك..كنت كالمهرج..و ما فائدة ذلك ما دام يعرفني الجميع بدون أصباغ وبدون مساحيق..ترهات وحماقات .. ألا تعرف هذه المزيّنة الخرقاء أن إرضاء الناس غاية لا تدرك..فإن بدوت جميلة بهذه الألوان فسيتعاضد الحاضرون ولسان حالهم يقول...انزعوا عنها المساحيق وسترون...و إن لم أبدو جميلة فلن يترددوا ايضا ليقولوا...ماذا فعلوا بها؟؟ المسكينة..لو تركت بدون مساحيق لبدت أجمل..والله ما أحلاها على طبيعتها...سبحان الله يريدون تغيير خلقة الله بكل الطرق..أستغفر الله..أستغفر الله...

كيف كانت ليلة زفافي؟؟..كنت أنظر الى الحاضرين..وكانوا ينظرون إلي..ببلاهة كنا نتبادل النظرات..بطريقة عجيبة..ربما بتعجب كانوا ينظرون..أو بتبسم.. أو بتشجيع.. أو باستطاف .. أو...لا أعرف..كنت أستغرب من جلوسي على مقعد عال، شبيه بالعرش...أ يغريني المجتمع على الزواج بمنافسة الإله ولو لساعات في عليائه قبل السقوط الأخير الى حضيض الحياة؟؟؟

كان الجو صاخبا جدا والقاعة غارقة في الضجيج والألوان..كأننا في سباق الى الجنون..او سباق الى اللامعنى...باختصار كنت هناك..ولم أكن..

صرفنا الأموال الطائلة وقضينا الليالي نفكر في ليلة العرس وفي التحضيرات والزينة ..وشمس الصيف الحارقة تجلدنا بلا رحمة.. كنا نركض لنكتري القاعة ولدعوة المندسين والرعاع اللذين لا غاية لهم من وراء الحضور سوى النقد والنميمة والافتراء...كنا نركض بلا هوادة حتى غصنا حتى أخصم القدمين في الديون والمشاكل المادية وبد أ الجميع يتدخل ليبيدي ر أيه ..وفتح الملف الذي لا ينتهي .."الثلاجة من واجب الزوجة"، تصرخ أم العريس..لن تتزوجها إلا اذا اشترت الثلاجة..ماذا تحسب نفسها؟؟؟.. أميرة زمانها؟؟؟ ..هل ستسلمها السلطة منذ الان حتى "تمشي كلمتها عليك" ؟؟؟ على جتتي هذا الحديث...

كل الفتيات مدلات وابنتي ست البنات.. جمال وعائلة وثقافة وأخلاق عالية ..ما الذي ينقصها حتى لا يشتري لها سيارة كصديقاتها .. أمن هنا نبدأ؟؟؟..ينكشف عليها قبل الزواج ؟؟ كيف سيعاملها اذا لو أنجبا بعد ذلك اطفالا ؟؟؟ على جتتي هذا الكلام...تصرخ أم الفتاة من الضفة الاخرى لوادي الماديات التي ألقينا فيه ما كان يجب أن يبقى وانصرفنا الى الوهم والسراب.. ألقينا الحب والحلم الجميل وأروع ما في الذاكرة..نسينا كل ذلك في خضم صراعنا لإرضاء المجتمعحتى لا نكون بنظره مجرمين أو متمردين أو صعاليك أو جرائم رمانا القدر في طريقه التنظيف السوي..

الزواج...هذا هو الزواج في حلتة الأصلية الحقيقية...مؤسسة فاشلة... تبدأ بانتحار مادي وتنتهي بانتحار عاطفي ونفسي وعقلي

وجسدي...مؤسسة فاشلة تتكون من تقاليد سخيفة وترهات بانسة لمجتمع
يتعثر في الوحل...

مرت الأسابيع الأولى بسلام..بنوع من التحضير النفسي المحكم لرحلة
عذاب لا أجل لنهايتها... كنا شخصين.. أنا وهو..كنت اتحمل مسؤولية
نفسي وأفكر في طعامي ولباسي وحمامي ودروسي وأصدقائي وعائلتي
وألبس ما اعترضني من ملابس النوم حتى لو افتقرت الملابس احيانا
لتناسق الألوان فلا ثاني لي سوى جسدي أسكن اليه وأرتاح معه .. أنام
بالطريقة التي تعجبني وأختار آلاف الأوضاع في ليلة واحدة وأتمتع بذلك
الاحساس بحرية التمرد على السرير والتداخل مع أطراف اللحاف..لا
عائق لي في عتمة الليل يشق عني الطريق ولا يد تمتد فجأة لتسرقني من
أحلامي ولا صوت طائش يفزعني ولا حتى احتمال واحد لإمكانية
مشاركتي رحلتي الليلية الهادئة مع مسافر ضال...

أصبحنا اليوم شخصين.. أصبحت افكر فينا...في طعامنا وملابسنا وحمامنا
وعملنا وأقنتني ثياب النوم الجميلة لا المريحة حتى يخطفني شريك
الأزلي في رحلتي الليلية.. من أجمل أحلامي ومن خيالاتي السارحة ومن
أملتي في اعادة استعادة حريتي التي سلبت بارادتي...

في عمق الليل الجميل وهدوئه الممتد الى اخر الكينونة يسرق احلامي بهزة
مفجعة وحركات طائشة مؤلمة فأتناثر شظايا بين الواقع والخيال ويتشتت
فكري ولا أعرف ان كنت أحلم بانني أغتصب أو أنني بالفعل... أغتصب
...

جميل إحساس المشاركة هذا...منطق الشراكة غير العادلة بين زوج يعود ليجد سعادة البطن والروح والجسد حاضرة بين يديه..لا شيء ينغص عليه أيامه..زوج سعيد في حياته داخل المنزل وسعيد مع خيالاته ورغباته..خارج المنزل...و بين زوجة أصبحت تنسى عيد ميلادها فأجندا ذكرتها ازدهمت بتواريخ الاخرين الغريبيين الذي دستهم الحياة في حياتها عنوة.. فقط لأنهم توابع الزوج..

هذه الزوجة ستشتاق يوما لإحساس الأمومة...وليتها ما فعلت..

تبدأ المأساة بهاجس..بفكرة...بحلم بأنس...

حل ضيوف جدد على حياتي..ضيوف يبدون رقيقين أبرياء في البداية...لكنها سرعان ما يصبحون كالدمل يلتصق بأجسادنا ويكبر معنا ويمتصنا روحا وجسدا ويتركنا أشباه أجساد وأشباه أرواح...هؤلاء الضيوف هم الأطفال..الأطفال زينة الدنيا؟؟ أي دنيا؟؟ وهل تبقى لنا بقدمهم دنيا؟؟ أتممون الحياة التي لا نفكر فيها إلا بالآخرين متناسين تمام النسيان حق أجسادنا وأرواحنا علينا دنيا؟؟

لم يعد لي من الوقت ما يكفي لأدافع عن انسانيتي..للدفاع عن أنوثتي التي أصبحت تداس كل يوم بنعل من نعال الحراس اللذين نصبتهم بإرادتي على باب زنزانتني...انوثتي التي أراها تذبل كل يوم حتى استسلمت للشحوب الازلي..لم يعد لي من الوقت ما أتذكر به أنني كنت أحب الكتابة والاستماع الى الشعر والرسم والعزف على البيانو والعدو في طريق الجبل..لم يعد

لي من الوقت ما أتذكر به أنني أعيش من أجلي وأن هذه الحياة هي قبل كل شيء حياتي.. ملكي... قبل ان تكون ملك الاخرين...

اصبحت اعيش من أجل أربعة اشخاص وأفكر في طعام الجميع ولباس الجميع ودروسهم ودوائهم إن مرضوا وأعياد ميلادهم واصدقائهم وأنا؟؟... أنا لا أعدو ان أكون مطية يمرون من خلالها الى السعادة.. الى المستقبل.. الى الاضواء.. ولست أتذمر فهؤلاء هم أبنائي.. قطعة مني.. لكنني لم أعد قادرة على التوفيق بين جميع متطلبات الحياة وتناسيت نفسي نهائيا.. ما عاد لي أصدقاء.. أضعتهم جميعا في مفترق الحياة.. و لم أعد انتظر عيد ميلادي كما في السابق أملا في أن يفاجئني أحدهم بوردة حمراء فارعة الطول تذكرني بنفسي.. بل أصبح ذلك اليوم هو أتعس ايام حياتي أتمنى فقط لو يقع تجاوزه أو حذفه نهائيا من رزنامة الأيام.. فقط لأن إحساسي فيه بأنني لم اعد أوجد يتضاعف ويشتد... و أحتمل رغم ذلك لأنني أعيش عواقب اختياري... لم يجبرني أحد على الدخول في هذه الدوامة المقيتة... وحدي شيدت أسوارها.. وحدي حبكت خيوطها.. و من جسدي خرجت مخلوقات عجيبة تستنزف كل طاقاتي ولا تترك لي أملا واحدا في الحياة.. لم يعد لي أمل في استرجاع يوم واحد من أيام الإنطلاق والحرية والتفكير المطلق والامحدود واللامشروط في الذات ...

أصابني كساد عاطفي وخمول جسدي مرة واحدة ولم أعد أهتم بشريكي الأبدى في رحلة الليل... فانصرف عني إلى غيري.. ولم أكن استغرب أو أتعجب.. بل كنت أتوقع ذلك وأتفهمه... مثلي تماما.. أحس بأنه ضرب

بأحلامه عرض الحياة وان الزواج ليس كما توقعه وأنه مثلي...رسم
أحلاما وردية لحياة مثالية مفعمة بالحب والونام..وانه حاول وأراد ان
يستمر ذلك الحلم ولكن...

كنت أنام الى جانبه أستم رائحة أنثى غيري...و لم أتجرأ على ايقاظه..بل
كنت أنظر اليه بشفقة... أنا أيضا هرعت في المساء الى آلة الكمبيوتر
لأبحث في حساب الفايسبوك خاصتي على حبيب سابق طوته السنوات..

تأملته بشفقة وهو نائم بجانبى بينما كانت الخيانة مدفونة بيننا كحشرة..لم
أعاتبه ولم أنبس ببنت شفة..قتل الروتين البانس والتفكير المستمر في
الأمر المادية وأعباء الحياة اليومية كل ذرة عاطفة فينا...لم يكن لي أن
أعاتبه على شيء لا يد له فيه..فكلانا ضحية مؤسسة فاشية فاشلة...

أكتب يا عدل الاشهاد... أكتب ولا تخشى شيئا فانا اليوم أعقل وأقوى
وأكثر حكمة وحرية من أي وقت مضى....اكتب الان وهنا... تبا لكم
ولمؤسستكم السجنية البغيضة التي من أجلها أترك العش الدافئ الذي فيه
أنال ما أريد وبدون حساب لأدفن في زنزانة باردة حيث ينهشني الآخرون
كما ينهش الأسد الجائع الغزال الغر الى آخر نفس..تبا لكم ولهذا المشروع
المستبد الزاهق للفكر والخلق والإبداع المبتكر لروتين سام وطريقة موت
على نار هادئة..

سأرضى بحبي لأنه شرعي أمام الله فلا تهمني شرعيتكم الواهمة المزيفة
في شيء

وسأرضى بالورد الحرام في علاقة أراها نقية متعالية على منطقتكم
الأجوف ونظرتكم السخيفة ..سأرضى بالورد الحرام فورد حرام أفضل من
القتل الحلال..من الإثم الحلال.. أفضل من اللاشيء..سأحب مرآتي دائما
طالما كنت عزباء.. وقولوا عني ما شئتم وتحدثوا كثيرا فأنتم مجتمع
الثرثرة ولا شيء غير ذلك..

...تبا لكم ولصك شراكنكم هذا الذي لا يتوحد فيه الشريكان إلا على
السريير...

الفهرس

- 2 في المقال
- 3..... من يعدنا بالدماء والدموع والعرق؟
حمزة عمر
- 6..... الإعلام سلطة رابعة؟
معز جعفر
- 8..... العولمة وفريضة الاجتهاد.
سوسن فري
- 11..... حرية المعتقد في الإسلام.
إكرام الدريدي
- 19..... تكريس الحوكمة من خلال دسترة مبدأي الشفافية والمشاركة
عزة الشاوش بوراوي
- 27..... ميثولوجيا الروايات إزاء القرآن الكريم.
خالد الديابي
- 35..... في سيكولوجيا الضحية والشخصية المهزومة
عصام الصغير

40.....الأغلبية التعيسة

أمين الزقزقي

45.....تريد الرياضة و... عذريتها

أمل المكي

50.....التلوث في قابس : مشكل بلا حل.....

أنيس عكروتي

54.....الوداع.....يا قلب الأسد.....

وليد جعفر

57.....في الشعر.....

58.....ثانية الوهج.....

إكرام بن حميدة

60.....كسر على صفحات الزجاج.....

أبو معاذ المطوي

64.....قهوتي الصباحية.....

إكرام بن حميدة

- 67..... هذيان الجسد قبل الأخير
أبو معاذ المطوي
- 69..... هطول الرحيل الأخير
نادية الشتيوي
- 71..... لن يبرز فجرك...
إبراهيم الفرشيشي
- 73..... في القصة
- 74..... "سأرحل"
ختام البرقاوي
- 76..... بداية يوم صعبة
معز جعفر
- 79..... نعمة الغثيان
حبيب الهاني
- 81..... ثورة لم تحدث في الجزيرة
فيصل بامري
- 90..... بقلبي أراك
روان بنرقية

100 (2) الورد الحرام

روان بن رقية

109 الفهرس،